شأن العافية

(المُلك الخَفِي)

تأليف

محمد شومان الرملي

الطبعة الأولى
١٤٣٧ هـ

شأن العافية

(المُلك الخَفِي)

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أنْ لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ۞ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعد، فإن شأن العافية عظيم، ولا يعرف قَدْرها إلا من فقدها، وذاق طعم البلاء بعدها، وهي للجسد مثل الإيمان للقلب، إذا فقده فسد وتألم وتعذب، وكذلك عافية الأبدان، لولاها لحل بالجسد الفساد والآفات والآلام، وتنغصت عليه الحياة، وفقد الراحة والاطمئنان، وقد نبه النبي ﷺ إلى هذا، فذَكَر العافيتين، وقَرَن بين النعمتين، فقال:

«لَنْ تُؤْتَوْا شَيْئًا بَعْدَ كَلِمَةِ الْإِخْلَاصِ مِثْلَ الْعَافِيَةِ».

وقال: «وَعَافِنِي فِي دِينِي وَجَسَدِي».

وغيرها في هذا المعنى كثير، كما سيأتي.

فالعافية تكون في الدين بالإيمان والعمل الصالح، الذي به تصلح القلوب والنفوس، وتتعافى من أمراضها، وتطمئن وتسكن، وتحضر أفراحها ولذاتها، كما تكون في الجسد بصحته وسلامته، وخلوه من الأمراض والآفات، وتكون كذلك في الأهل والمال والولد، كما سيأتي بيانه.

فالعافية في الجسد: الصحة التامة. والصحة الجيدة. والعافية: النجاة من الأمراض والأسقام أو الشفاء والبُرْء منها. والعافية: اندفاع السوء والبلاء. والعافية: الحفظ.

كل هذا عافية، وسؤالُ اللهِ تعالى العافيةَ في الجسد هو طلب حصول هذا كله.

فهي بكلمة جامعة: الصحة التامة، والسلامة الكاملة.

هذه عافية البدن، وهي المقصود الأول في كلامنا هنا، وإن كنا سنتعرض ـ ولا بد ـ للكلام على العافية في سائر أمور الدنيا، من أهل ومال وولد، والعافية في أمور الدين كذلك.

هذا، وسنتناول الكلام على العافية (عافية البدن) بهذا اللفظ (العافية والصحة) وما قاربهما من ألفاظ، طلبًا لحصر الموضوع المقصود، ومنعًا لتشتيت ذهن القارئ، ومع هذا لم نفوِّت التنبيه على ما اشتمل عليه لفظ العافية، وما يرجع إليه من ألفاظ ومعانٍ، كما تقدم، وكما سيأتي مرارًا.

وليُعلم أيضًا أنني لست بصدد الكتابة في كيفية حفظ الصحة والسلامة من العلل والأسقام وسائر الآفات، فإن هذا باب يطول جدًّا، وله أهله من الأطباء والمتخصصين فيما يُسمى في عصرنا بعلم السلامة

والصحة، وقد كُتِبت فيه الكتب والبحوث الكثيرة، وأُطِيل فيه النَّفَس، سواء كان ذلك في باب الصحة والسلامة في المطعم والمشرب أو غيرهما، ولا يكاد يوجد باب في الصحة والسلامة إلا وطرقوه، وتكلموا فيه، واعتنَوْا به أشد عناية، وخاصة أهل أوروبا وأمريكا، فإنهم مولعون بهذا الموضوع إلى الغاية، كما هو شأنهم وديدنهم في الاهتمام الشديد بالأمور المادية دون الروحية.

ولا يمكننا أن ننكر ما وصلوا إليه من التطور والإبداع المنقطع النظير في هذا الأمر، وقد قلدهم أو بعبارة أقرب استفاد منهم المسلمون في شيء مما وصلوا إليه.

وبالمقابل، قد أعرض كثير منهم أو لم يُولِ اهتمامًا لما جاء في هَدي نبيهم ﷺ، من طب الأبدان، وحفظ صحتها، وطلب سلامتها.

ومن أهم ما اشتمل عليه هذا الهَدي الكريم المستقيم الأدعية والأذكار التي وردت في سؤال العافية والصحة والسلامة، وهي رُوح كتابنا هذا، وعليها قام، ومن أجلها كُتِب.

قال ابن القيم[1]: ومن تأمل هَدي النبي ﷺ وَجَدَهُ أفضلَ هَدي يُمْكِنُ حِفْظُ الصحة به، فإن حِفظها موقوف على حسن تدبير المطعم والمشرب والملبس والمسكن والهواء والنوم واليقظة والحركة والسكون والمنكح والاستفراغ والاحتباس، فإذا حصلت هذه على الوجه المعتدل الموافق الملائم للبدن والبلد والسن والعادة، كان أقربَ إلى دوام الصحة أو غَلَبَتِها إلى انقضاء الأجل.

---

(١) «زاد المعاد» (٤/٢١٤-٢١٦).

قلت: فلو ائتمرنا بأمر ربنا جل وعلا، وانتهينا عن نهيه، وأخذنا بهَدي رسوله ﷺ، لأتينا على أسباب الصحة والعافية، والمنافع الجسدية والنفسية، وما لا يخطر بالبال من خير الدنيا وأسباب النُّجح فيها، والآخرة بعد ذلك خير وأبقى، في نعيم لا بُؤس معه، وخُلْد لا موت فيه، ثياب لا تَبلى، وشباب لا يَفنى، كما بَشّر بذلك النبي ﷺ بقوله:

«يُنَادِي مُنَادٍ: إِنَّ لَكُمْ أَنْ تَصِحُّوا فَلَا تَسْقَمُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَحْيَوْا فَلَا تَمُوتُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَشِبُّوا فَلَا تَهْرَمُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَنْعَمُوا فَلَا تَبْأَسُوا أَبَدًا، فَذَلِكَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَنُودُوٓاْ أَن تِلۡكُمُ ٱلۡجَنَّةُ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ [الأعراف:٤٣]»[١].

وقال ﷺ: «مَنْ دَخَلَهَا يَنْعَمُ وَلَا يَبْأَسُ، وَيَخْلُدُ وَلَا يَمُوتُ، لَا تَبْلَى ثِيَابُهُمْ، وَلَا يَفْنَى شَبَابُهُمْ»[٢].

ثم قال ابن القيم: ولما كانت الصحة والعافية من أجل نعم الله على عبده، وأجزل عطاياه، وأوفر مِنَحِه، بل العافية المطلقة أجل النعم على الإطلاق، فحقيق لمن رُزِقَ حظًّا من التوفيق مراعاتها وحفظها وحمايتها عما يضادها.

وذكر رحمه الله شيئًا مما ورد في فضل العافية والصحة، ثم قال:

وإذا كان هذا شأن العافية والصحة فنذكر من هَديه ﷺ في مراعاة هذه الأمور، ما يتبين لمن نظر فيه أنه أكملُ هَدي على الإطلاق، يُنال به

---

(١) أخرجه مسلم (٢٨٣٧).

(٢) بعض حديث، أخرجه الترمذي (٢٥٢٦)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وصححه الألباني. وهو في «صحيح مسلم» (٢٨٣٦)، بلفظ: «مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ يَنْعَمُ لَا يَبْأَسُ، لَا تَبْلَى ثِيَابُهُ، وَلَا يَفْنَى شَبَابُهُ».

حِفْظُ صحة البدن والقلب، وحياةُ الدنيا والآخرة. اهـ.

وقد بينت في كتابي هذا فضل العافية، والأدعية الواردة في سؤالها، وضَمَّنْتُه كثيرًا من الفوائد والحِكَم، من كلام العلماء والحكماء والفصحاء، مما جاء في شأن العافية وأهلها، ورتبته بعد هذه المقدمة كما يلي:

الباب الأول: في شأن العافية وبيان فضلها.

الباب الثاني: في الأدعية الواردة في سؤال العافية في أوقات محددة.

الباب الثالث: في الأدعية المطلقة الواردة في سؤال العافية.

الباب الرابع: في السؤال عن العافية يوم القيامة ووجوب شكر الله تعالى عليها.

الباب الخامس: في فوائد وحِكَم ذُكِرَتْ في باب العافية.

الباب السادس: في اغتنام العافية في طاعة الله عز وجل.

وختمت الكتاب بكلمات نافعات، فيها تسليةٌ لأهل البلاء، وحثٌّ لهم على الصبر والرضا بما قَسَم الله تعالى، مع التأكيد على سؤال العافية، وعدم التهاون في ذلك.

واللّهَ العَفُوَّ أسألُ، أن ينفعني به، وكلَّ مَنِ اطَّلع عليه، وأن يجعلنا من أهل العافية، في الدنيا والآخرة، ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ .

كتبه: محمد شومان الرملي

رمضان/١٤٣٧هـ

الباب الأول

في

شأن العافية وبيان فضلها

العافية أفضل عطية بعد التوحيد واليقين

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت أبا بكر رضوان الله عليه على هذا المِنبر يقول: سمعت رسول الله ﷺ هذا اليوم عامَ أَوَّلٍ يقول، ثم اسْتَعْبَرَ أبو بكر رضوان الله عليه فبكى، ثم قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«لَنْ تُؤْتَوْا شَيْئًا بَعْدَ كَلِمَةِ الْإِخْلَاصِ مِثْلَ الْعَافِيَةِ، فَسَلُوا اللَّهَ الْعَافِيَةَ»[1].

وعن رِفاعةَ بن رافع الأنصاري رضي الله عنه قال: قام أبو بكر الصديق، على المِنبر ثم بكى فقال: قام رسول الله ﷺ عامَ الأولِ على المِنبر ثم بكى فقال:

«اسْأَلُوا اللَّهَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ، فَإِنَّ أَحَدًا لَمْ يُعْطَ بَعْدَ الْيَقِينِ خَيْرًا مِنَ الْعَافِيَةِ»[2].

قال الشوكاني[3]: قوله: (العفو)، هو التجاوز عن العبد بغفران ذنوبه وعدم مؤاخذته بما اقترفه منها، قوله: (والعافية)، قال في «الصحاح»: وعافاه

(١) أخرجه ابن حبان (٣/٢٣٠/٩٥٠)، وغيره، وصححه الألباني لغيره.

(٢) أخرجه الترمذي (٣٥٥٨)، وغيره، وقال الألباني: «حسن صحيح».

(٣) «تحفة الذاكرين» (ص ٤٥٩-٤٦٠).

الله وأعفاه بمعنًى واحد، والاسم: العافية، وهي دفاع الله سبحانه وتعالى عن العبد، وتوضع موضع المصدر، فيقال: عافاه عافية. فقوله: «دفاع الله عن العبد» يفيد أن العافية جميع ما يدفعه الله عن العبد من البلايا كائنة ما كانت. وقال في «النهاية»: والعافية أن يَسلم من الأسقام والبلايا. وهذا يفيد العموم كما أفاده كلام صاحب «الصحاح». وقال في «القاموس»: والعافية دفاع الله عن العبد، عافاه الله من المكروه معافاة وعافية: وهب له العافية من العلل، كأعفاه. انتهى. وهكذا كلام سائر أئمة اللغة، وبهذا تَعرف أن العافية هي: دفاع الله عن العبد، وهذا الدفاع المضاف إلى الاسم الشريف يشمل كل نوع من أنواع البلايا والمحن، فكل ما دفعه الله عن العبد منها فهو عافية. اهـ.

قال الشوكاني[1]: سأل النبيُّ ﷺ ربَّه سبحانه وتعالى أن يرزقه العفو، الذي هو العمدة في الفوز بدار المعاد، ثم سأله أن يرزقه العافية، التي هي العمدة في صلاح أمور الدنيا والسلامة من شرورها ومحنها، فكان هذا الدعاء من الكلم الجوامع، والفوائد النوافع، فعلى العبد أن يستكثر من الدعاء بالعافية، وقد أغنى عن التطويل في ذكر فوائدها ومنافعها ما ذكره رسول الله ﷺ في هذا الحديث، فإنها إذا كانت بحيث أنه لم يُعْطَ أحدٌ بعد اليقين خيرًا منها فقد فاقت كل الخصال، وارتفعت درجتها على كل خير. اهـ.

وعن أَوْسَطَ بن إسماعيل البَجَلِيِّ، أنه سمع أبا بكر حين قُبِضَ النبيُّ ﷺ يقول: قام رسول الله ﷺ في مَقامي هذا عامَ الأولِ، ثم بكى أبو بكر،

(١) «تحفة الذاكرين» (ص ٤٦٠).

(وفي رواية: فخَنَقَتْهُ العَبْرَةُ ثلاثَ مراتٍ)، ثم قال:

«عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ، فَإِنَّهُ مَعَ الْبِرِّ، وَهُمَا فِي الْجَنَّةِ، وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ، فَإِنَّهُ مَعَ الْفُجُورِ، وَهُمَا فِي النَّارِ.

وَسَلُوا اللَّهَ الْمُعَافَاةَ، فَإِنَّهُ لَمْ يُؤْتَ أَحَدٌ بَعْدَ الْيَقِينِ خَيْرًا مِنَ الْمُعَافَاةِ.

وَلَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَقَاطَعُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا»[1].

قال ابن القيم[2]: فجمع بين عافيتي الدين والدنيا، ولا يَتِمُّ صلاح العبد في الدارين إلا باليقين والعافية، فاليقين يدفع عنه عقوبات الآخرة، والعافية تدفع عنه أمراض الدنيا في قلبه وبدنه.

وللحافظ ابن حجر[3]:

اثنان لم يُعط امرؤٌ عاقلٌ ... مثلَها في دارنا الفانيهْ
من يَسَّر اللهُ تعالى لهُ ... شهادةَ الإخلاص والعافيهْ

ولأبي علي الساجي[4]:

لا تأسَ من دنيا على فائتٍ ... وعندك الإسلامُ والعافيهْ
إنْ فات شيءٌ كنتَ تسعى لهُ ... ففيهما مِنْ فائتٍ كافيهْ

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٣٨٤٩)، واللفظ له، وابن حبان (٣/٢٣٢/٩٥٢)، والرواية الثانية له، وغيرهما، وصححه الألباني.

(٢) «زاد المعاد» (٤/١٩٧).

(٣) «الازدهار» للسيوطي (ص ١٦).

(٤) «يتيمة الدهر» (٤/٩١-٩٢).

أفضل دعوة

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«مَا مِنْ دَعْوَةٍ يَدْعُو بِهَا الْعَبْدُ أَفْضَلَ مِنْ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْمُعَافَاةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ»(١).

أمره ﷺ عمه العباس بالإكثار من سؤال العافية

عن ابن عباس رضي الله عنهما، أن النبي ﷺ قال لعَمّه العباسِ:

«يَا عَمِّ، أَكْثِرِ الدُّعَاءَ بِالْعَافِيَةِ»(٢).

وعن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله، علمني شيئًا أسألُه اللهَ عز وجل. قال: «سَلِ اللَّهَ الْعَافِيَةَ».

فمكثت أيامًا، ثم جئت فقلت: يا رسول الله، علمني شيئًا أسألُه اللهَ. فقال لي:

«يَا عَبَّاسُ، يَا عَمَّ رَسُولِ اللَّهِ، سَلِ اللَّهَ العَافِيَةَ، فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ»(٣).

قال ابن الجزري(٤): فلينظر العاقل مقدار هذه الكلمة التي اختارها رسول الله ﷺ لعمه من دون الكَلِم، وليُؤْمِن بأنه ﷺ أُعطِيَ جوامعَ الكَلِم، واختُصِرت له الحِكَم، فإن من أُعطِيَ العافية فاز بما يرجوه ويحبه، قلبًا

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٣٨٥١)، وغيره، وصححه الألباني.

(٢) أخرجه الطبراني في «الكبير» (١١/٣٣٠/ رقم ١١٩٠٨)، و«الدعوات الكبير» (١/٣٦٨/ رقم ٢٨١)، وغيره، وهو في «السلسلة الصحيحة» (١٥٢٣).

(٣) أخرجه الترمذي (٣٥١٤)، وغيره، وصححه الألباني.

(٤) «عدة الحصن الحصين» (ص ٤٦٢ – تحفة الذاكرين).

وقالبًا، ودينًا ودنيا، ووُقِيَ ما يخافه في الدارين، عِلمًا يقينًا، فلقد تواتر عنه ﷺ دعاؤه بالعافية، وورد عنه ﷺ لفظًا ومعنًى من نحو خمسين طريقًا، هذا وقد غُفِر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وهو المعصوم على الإطلاق حقيقة، فكيف بنا ونحن عُرْضٌ لسهام القدر، وغَرَضٌ بين النفس والشيطان والهوى؟! اهـ.

وقال الشوكاني[1]: «وفي أمره ﷺ للعباس بالدعاء بالعافية بعد تكرير العباس سؤاله بأنه يعلمه شيئًا يسأل الله به دليل جَلِيّ بأن الدعاء بالعافية لا يساويه شيء من الأدعية، ولا يقوم مقامه شيء من الكلام، الذي يُدعَى به ذو الجلال والإكرام».

قال: وقد تقدم تحقيق معنى العافية أنها دفاع الله عن العبد[2]، فالداعي بها قد سأل ربه دفاعه عنه كل ما ينوبه.

قال: وقد كان رسول الله ﷺ يُنْزِل عمَّه العباسَ منزلةَ أبيه، ويرى له من الحق ما يراه الولد لوالده، ففي تخصيصه بهذا الدعاء وقَصْره على مجرد الدعاء بالعافية تحريك لهمم الراغبين على ملازمته، وأن يجعلوه من أعظم ما يتوسلون به إلى ربهم سبحانه وتعالى، ويَستدفعون به في كل ما يهمهم.

ثم كلمه ﷺ بقوله: «سَلِ اللَّهَ الْعَافِيَةَ، فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ»، فكان هذا الدعاء من هذه الحيثية قد صار عُدَّةً لدفع كل ضر، ولجلب كل خير، اللهم إنا نسألك العافية في الدنيا والآخرة، يا أرحم الراحمين، آمين. اهـ.

---

(١) «تحفة الذاكرين» (ص ٤٦٢).

(٢) تقدم كلامه في أول هذا الباب.

أكثر دعوة
كان يدعو بها النبي ﷺ

عن عبد العزيز بن صهيب قال: سأل قتادةُ أَنَسًا: أيُّ دَعوةٍ كان يدعو بها النبيُّ ﷺ أكثرَ؟ قال: كان أكثرُ دَعوةٍ يَدْعُو بها يقول:

«اللَّهُمَّ [رَبَّنَا] آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً، وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ».

قال: وكان أنسٌ إذا أراد أن يَدْعُوَ بدَعوةٍ دعا بها، فإذا أراد أن يَدْعُوَ بدعاء دعا بها فيه(1).

وهذه الدعوة بمثابة سؤال العافية، والدعاء بها متواتر عن النبي ﷺ كما هو متواتر عنه سؤال العافية(2).

فآتنا في الدنيا حسنة: هي العافية في الدنيا، وفي الآخرة حسنة: هي العافية في الآخرة. فالعافية كلمة جامعة عامة في تحصيل خير الدنيا والآخرة، ودفع شر الدنيا والآخرة.

قال النووي(3): وأظهر الأقوال في تفسير الحسنة في الدنيا أنها العبادة والعافية، وفي الآخرة الجنة والمغفرة.

وعن قتادة في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْأَخِرَةِ حَسَنَةً﴾ [البقرة:٢٠١]، قال: في الدنيا عافية، وفي الآخرة عافية. واستدل بنحو

---

(١) أخرجه البخاري، والزيادة له، ومسلم، واللفظ له، وغيرهما.

(٢) انظر الخاتمة.

(٣) «شرح مسلم» (١٣/١٧).

حديث أنس الآتي في الخاتمة[1]، في الرجل الذي عاده النبي ﷺ وقد ضَعُف فصار مثل الفَرْخ.

وقال ابن كثير في تفسير الآية: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْأَخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾: جَمعت هذه الدعوة كل خير في الدنيا، وصَرفت كل شر، فإن الحسنة في الدنيا تشمل كل مطلوب دنيوي، من عافية، ودار رحبة، وزوجة حسنة، ورزق واسع، وعلم نافع، وعمل صالح، ومركب هنيء، وثناء جميل، إلى غير ذلك مما اشتملت عليه عبارات المفسرين، ولا منافاة بينها، فإنها كلها مندرجة في الحسنة في الدنيا.

وأما الحسنة في الآخرة، فأعلى ذلك دخول الجنة، وتوابع ذلك الأمن من الفزع الأكبر في العَرَصَات، وتيسير الحساب، وغير ذلك من أمور الآخرة الصالحة.

وأما النجاة من النار، فهو يقتضي تيسير أسبابه في الدنيا، من اجتناب المحارم والآثام، وترك الشبهات والحرام. اهـ.

قلت: لفظ «حسنة» نكرة في سياق الإثبات، فلا تعم، وإنما تُفَسَّر بلفظ يبينها ويكون على سبيل البدل منها، ولا يصلح في ذلك مما يتناول خيرات الدنيا كلها ودفع شرورها كلها إلا الألفاظ الجامعة العامة، مثل ما اخترناه من أنها العافية، وكذلك القول بالنسبة لحسنة الآخرة.

ومن الألفاظ الجامعة كذلك التي تصلح أن تكون بدلًا عن «حسنة» وتُفَسَّر بها هو لفظ: «نعيم»، فطلب حسنة الدنيا وحسنة

---

(١) انظر «تفسير الطبري» (٢٠٣/٤).

الآخرة: هو طلب نعيم الدارين، ويدخل في اللفظ كل خير في الدنيا، وكل خير في الآخرة، ويدخل فيه أيضًا دفع كل شر فيهما، لأن وجود الشر ينافي النعيم.

قال الشوكاني(١): والحاصل أنه لا عموم، لأنه لا صيغة عامة هاهنا، لأن وقوع النكرة في حيز الإثبات لا يفيد العموم، إلا أن العبد يُعطَى في الدنيا حسنة واحدة، وفي الآخرة حسنة واحدة، ومعلوم أنه لو كان المطلوب حسنة واحدة لم يكن هذا الدعاء من جوامع الكَلِم، ولا وقعت منه ﷺ المواظبة عليه حتى كان أكثر دعائه.

قال: فالظاهر أن المراد أنه يكون ما يُعطاه في الدنيا حسنة، فيكون كل خصلة من خصال الدنيا حسنة، وكل خصلة من خصال الآخرة حسنة، أو تُفَسَّر الحسنة في الدنيا بفرد من أفرادها يَسْتَلْزِمُ سائرَ الأفراد، وتُفَسَّر الحسنة في الآخرة بفرد من أفرادها يَسْتَلْزِمُ جميعَ الأفراد، وذلك بأن يقال: المراد حسن المعاد وحسن المعاش، وحسن الحياة وحسن الممات، فإن ذلك يَسْتَلْزِمُ أن يكون كلُّ أمورِ دنياه وآخرته حسنة.

قلت: هذا كلام قوي، من فهامة أحوذي.

وقال القرطبي(٢): والذي عليه أكثر أهل العلم أن المراد بالحسنتين: نعيم الدنيا والآخرة. قال: وهذا هو الصحيح، فإن اللفظ يقتضي هذا كلَّه، فإن «حسنة» نكرة في سياق الدعاء، فهو محتمل لكل حسنة من

---

(١) «تحفة الذاكرين» (ص ٤٥٧).

(٢) «تفسيره» (٤٣٣/٢).

الحسنات على البدل، وحسنة الآخرة: الجنة بإجماع.

وقال[1]: هذه الآية من جوامع الدعاء التي عمت الدنيا والآخرة. قيل لأنس: ادع الله لنا. فقال: اللـهم آتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار. قالوا: زدنا. قال: ما تريدون؟! قد سألتُ الدنيا والآخرة!!

قلت: وهذه الدعوة تقال في كل وقت، مثلها مثل سؤال العافية، خصوصًا في أيام الحج؛ للسياق الذي وردت فيه الآية، ومن أوقاتها المُقَيَّدة، ومواضعها المخصَّصة، أن تقال في الطواف بين الركنين، فعن عبد الله بن السائب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول ما بين الرُّكْنين: «﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة:٢٠١]»[2].

فصل

ومن فضل العافية وعظيم قَدْرها: ما رواه عُبَيْدُ الله بن مِحْصَنٍ الخَطْمِيّ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا فِي سِرْبِهِ، مُعَافًى فِي جَسَدِهِ، عِنْدَهُ قُوتُ يَوْمِهِ، فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا [بِحَذَافِيرِهَا]»[3].

ويُحكى أن عُمَيْرَ بن سعدٍ دخل على عمر بن الخطاب، حين رجع إليه من عمل حمص، وليس معه إلا جِراب وإداوة وقَصعة وعصا، فقال له عمر: ما الذي أرى بك من سوء الحال أو تَصَنُّع؟ قال: وما الذي ترى بي؟! ألستُ

---

(١) «تفسيره» (٢/٤٣٣).

(٢) أخرجه أبو داود (١٨٩٢)، وغيره، وحسنه الألباني.

(٣) أخرجه الترمذي (٢٣٤٦)، وغيره، والزيادة لابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٢١٢٦)، وهو في «الصحيحة» (٢٣١٨).

صحيحَ البدن، معي الدنيا بحذافيرها؟ قال: وما معك من الدنيا؟! قال: معي جِرابي أحمل فيه زادي، ومعي قَصعتي أغسل فيها ثوبي، ومعي إداوتي أحمل فيها مائي لشرابي، ومعي عصاي إن لقِيت عدوًّا قاتلته، وإن لقِيت حية قتلتها، وما بقي من الدنيا فهو تَبَعٌ لما معي. قال: صدقت(١).

وفي «الأمثال»: نِعْمَ الثَّوْبُ العَافيَةُ إِذَا انْسَدَلَ على الكَفَافِ(٢).

ولأبي العتاهية:

رغيــفُ خــبزٍ يــابِسٍ ... تأكلُـــهُ في زاويـــهْ
وكُـــوزُ مـــاءٍ بـــاردٍ ... تَشـــربُهُ مــن صــافيهْ
وغُرفــــةٌ ضَــــيِّقةٌ ... نَفْسُــك فيهــا خاليــهْ
أو مســـجدٌ بمَعْـــزِلٍ ... عــن الــوَرَى في ناحيــهْ
تَــدرسُ فيــه دفــترًا ... مُســـــتندًا لســـــاريهْ
مُعتَــبِرًا بمــن مضــى ... مــن القــرون الخاليــهْ
خَــيرٌ مــن الســاعاتِ في ... فَيْءِ القصــور العاليــهْ
تَعْقِبُهَـــا عقوبَـــةٌ ... تُصْــلِي بنــار حاميــهْ
فَهَـــذِهِ وَصِـــيَّتِي ... مُخْـــبِرَةٌ بحاليَـــهْ
طــوبى لمــن يَســمعُها ... تلــك لَعَمــري كافيــهْ
فاســمعْ لِنُصْــحِ مُشْــفِقٍ ... يُــدْعَى أبــا العتاهيــهْ

وقيل لبعضهم: بأيِّ شيء تأكلُ الخبز؟ فقال: أَذكرُ العافيةَ وأجعلُها إدامًا.

---

(١) «محاضرات الأدباء» (٢١٦/١)، و«البيان والتبيين» (٢٩/٣).

(٢) «مجمع الأمثال» (٣٥٨/٢).

ومن ذلك: عن طارق الأشجعي رضي الله عنه، أنه سمع النبي ﷺ وأتاه رجل فقال: يا رسول الله، كيف أقول حين أسأل ربي؟ قال:

«قُلْ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، وَارْحَمْنِي، وَعَافِنِي، وَارْزُقْنِي ـ ويَجْمَعُ أصابعَه إلا الإبهامَ ـ فَإِنَّ هَؤُلَاءِ تَجْمَعُ لَكَ دُنْيَاكَ وَآخِرَتَكَ»(١).

وفي لفظ: كان الرجل إذا أسلم، عَلَّمَهُ النبيُّ ﷺ الصلاة، ثم أمره أن يدعو بهؤلاء الكلمات:

«اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، وَارْحَمْنِي، وَاهْدِنِي، وَعَافِنِي، وَارْزُقْنِي».

ومن ذلك: عن عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: إني لا أستطيع أن آخذ من القرآن شيئًا، فعلِّمني ما يُجْزِئُنِي منه، قال:

«قُلْ: سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ». قال: يا رسول الله، هذا لله عز وجل فما لي؟ قال:

«قُلْ: اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي، وَارْزُقْنِي، وَعَافِنِي، وَاهْدِنِي». فلما قام قال هكذا بيده. فقال رسول الله ﷺ: «أَمَّا هَذَا فَقَدْ مَلَأَ يَدَهُ مِنَ الْخَيْرِ»(٢).

فصل

وعن مُطَرِّفِ بن عبد الله بن الشِّخِّيرِ، قال: حَظٌّ من عِلْمٍ أحبُّ إليّ من حَظٍّ من عبادة، ولَأَنْ أُعَافَى فأشكرَ أحبُّ إليّ من أن أُبْتَلَى فأصبرَ. قال:

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٩٧)، وغيره.

(٢) أخرجه أبو داود (٨٣٢)، وغيره، وحسنه الألباني.

ونظرت في الخير الذي لا شرَّ فيه فلم أَرَ مِثْلَ المعافاة والشكر[1].

وعن عمر بن السَّكَنِ قال: كنت عند سفيان بن عُيَيْنَةَ، فقام إليه رجل من أهل بغداد فقال: يا أبا محمد، أخبرني عن قول مُطَرِّفٍ: لأن أعافَى فأشكر أحب إليّ من أن أبتلَى فأصبر. أهو أحب إليك، أم قول أخيه أبي العلاء: اللـهم رضيت لنفسي ما رضيت لي؟ قال: فسكت سكتة، ثم قال: قول مُطَرِّفٍ أحب إلي. فقال الرجل: كيف وقد رضي هذا لنفسه ما رضيه الله له؟! فقال سفيان: إني قرأت القرآن فوجدت صفة سليمان عليه السلام مع العافية التي كان فيها: ﴿نِعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [ص:٣٠]، ووجدت صفة أيوب عليه السلام مع البلاء الذي كان فيه: ﴿نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [ص:٤٤]، فاستوت الصفتان، وهذا معافًى وهذا مبتلًى، فوجدت الشكر قد قام مقام الصبر، فلما اعتدلا كانت العافية مع الشكر أحب إليّ من البلاء مع الصبر[2].

وعن وَهْبِ بن مُنَبِّهٍ قال: رؤوس النعم ثلاثة؛ فأولها: نعمة الاسلام التي لا تتم نعمة إلا بها، والثانية: نعمة العافية التي لا تطيب الحياة إلا بها، والثالثة: نعمة الغنى التي لا يتم العيش إلا بها[3].

وقيل: قال لقمان: نقلت الصخور وحملت الحديد فلم أر شيئًا أثقلَ من الدَّين، وأكلت الطيبات وعانقت الحسان فلم أر شيئًا ألذَّ من العافية، [وذقت المرارات فلم أذق أَمَرَّ من الحاجة إلى الناس][4].

---

(١) «جامع مَعْمَر بن راشد» (١١/٢٥٣).

(٢) «حلية الأولياء» (٧/٢٨٣).

(٣) «حلية الأولياء» (٤/٦٨).

(٤) «المستطرف» (١/٤٥٦). والزيادة من «ثمار القلوب» (ص ٦٦٨).

ومن كلامهم البليغ يغبطون به صاحب العافية قولهم: إليك انتهت الأماني يا صاحب العافية.

ورُوِي مرفوعًا ولا يصح، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِلَيْكَ انْتَهَتِ الْأَمَانِيُّ يَا صَاحِبَ الْعَافِيَةِ»[1].

فمهما تمنى المتمنون، وتأمل المتأملون، فلن يجدوا أفضل من العافية، فإليها مستقر أمانيهم، ومرجع مطالبهم، فهي الغاية والنهاية.

ومن أعجب ما وقعت عليه من ذلك، ما في «ربيع الأبرار»[2]: لما خلق الله العافية قال لها: صَلِّ[3]. قالت: أسألك العافية.

وفي الأمثال: فِي العَافِيَةِ خَلَفٌ مِنَ الرَّاقِيَةِ.

أي: مَنْ عُوفِيَ لم يحتج إلى رَاقٍ وطبيب. والهاء في «الراقية» دخلت للمبالغة، ويجوز أن تكون «الراقية» مصدرًا كالباقية والواقية[4].

وعن وَهْبِ بن مُنَبِّهٍ قال: مكتوب في حكمة آل داود: العافية المُلْك الخَفِيّ.

وفي بعض الآثار: كم من نعمة لله في عِرْق ساكن![5].

وعن بكر المُزَني قال: يا بن آدم، إن أردت أن تعلم قَدْر ما أنعم الله عليك فغمض عينيك[6].

وعن سلمان الفارسي قال: إن رجلًا بُسِط له من الدنيا، فانتُزِع ما في

---

(١) أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٨/٧ - ٦٦٩٤)، وغيره، وهو في «السلسلة الضعيفة» (٢٩٢٠).

(٢) (١٦٥/٣). ولم يَعْزُه، ومثله يحتاج إلى دليل، ودونه خرط القتاد.

(٣) أي: ادعي. ولعلها: سَلِي.

(٤) «مجمع الأمثال» (٨٠/٢).

(٥) «جامع العلوم والحكم» (٧١٠/٢).

(٦) يعني: عندها سوف لا ترى إلا الظلام، يريد التنبيه على نعمة البصر.

يديه، فجعل يحمد الله عز وجل ويثني عليه، حتى لم يكن له فراش إلا بُورِيّ[1]، فجعل يحمد الله ويثني عليه، وبُسِط لآخر من الدنيا، فقال لصاحب البُورِيّ: أرأيتك أنت على ما تحمد الله عز وجل؟! قال: أحمد الله على ما لو أُعطيتُ به ما أُعطيَ الخلقُ لم أُعطِهم إياه. قال: وما ذاك؟! قال: أرأيت بصرك؟ أرأيت لسانك؟ أرأيت يديك؟ أرأيت رجليك؟

وعن أبي الدرداء أنه كان يقول: الصحة غنى الجسد.

وعن يونس بن عُبيد: أن رجلًا شكا إليه ضِيق حاله، فقال له يونس: أيسرك أن لك ببصرك هذا الذي تبصر به مئةَ ألفِ درهم؟ قال الرجل: لا. قال: فبيدك مئةَ ألفِ درهم؟ قال: لا. قال: فبرجليك؟ قال: لا. قال: فذَكَّره نِعَمَ الله عليه، فقال يونس: أرى عندك مِئينَ ألوفٍ وأنت تشكو الحاجة؟![2].

وقال الثعالبي[3]: أحسن ما قيل في مدح الصحة وذم المرض قول بشار ابن برد:

إني وإن كان جمع المال يعجبني فليس يَعدل عندي صِحةَ الجسد
في المال زَيْنٌ وفي الأولاد مَكْرُمَةٌ والسُّقْم ينسيك ذِكرَ المال والولد

وقول عنترة[4]:

المــال للمــرء في معيشــتهِ خــيرٌ مــن الــوالدين والــولدْ

---

(١) هي الحصير المعمول من القصب. «لسان».

(٢) «جامع العلوم والحكم» (٢/٧٠٩). وانظر «الشكر» لابن أبي الدنيا (رقم ١٠٠-١٠٢).

(٣) «أحسن ما سمعت» (ص ٩٥).

(٤) تقديم عنترة المال على الوالدين وتفضيله عليهما مستهجن مردود، ولعله يعذر في ذلك عند نفسه لِـما اشتُهر من أن والده شدادًا تَنَكَّر له في بداية حياته، ولم يعترف به ابنًا له، أنفة منه لكونه ابن أمة سوداء حبشية، فكان عنده بمنزلة العبيد، وأما أمه فلم تكن تملك له شيئًا وهي تعيش عيش الإماء لا تملك حتى نفسها!

وإن تَـدُمْ نعمـةٌ عليـه تَجِـدْ خيرًا مِن المال صِحةَ الجسدْ
وما بمَنْ نـال فَضْـلَ عافيـةٍ وقُوتَ يـومٍ فَقْـرٌ إلى أحـدْ

وقال ابن القيم[1]: من تربى في العافية لا يعرف ما يقاسيه المُبْتَلَى، ولا يَعرف مقدار العافية.

وقال[2]: لولا خَلْق أنواع البلاء لما عُرِفَ قَدْرُ العافية.

❑❑❑❑❑

(١) «طريق الهجرتين» (ص ١٧٠)، و«مفتاح دار السعادة» (١/٢٩٣).

(٢) «شفاء العليل» (ص ٢٢٢).

الباب الثاني

في

الأدعية الواردة في سؤال العافية فى أوقات محددة

الحمد على العافية
عند الاستيقاظ من النوم

ليكن أول ما تبدأ به يومك يا عبد الله، وأول ما تستيقظ عليه من نومك، أن تحمد الله عز وجل، أن عافاك في جسدك، وأَرسل رُوحك، وردها عليك، وأَنْسَأ لك في أجلك، وأَذِن لك بذكره سبحانه، فما أعظمها من نعمة! وما أجلها من عطية! تستحق منك أداء شكرها، بأن تَلْهَج بالثناء على الله عز وجل وشكره، وتستعمل بدنك في طاعته، وتجنبه معصيته، كما قال جل ثناؤه، وتقدست أسماؤه:

﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الزمر:٤٢].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال:

«إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ عَنْ فِرَاشِهِ ثُمَّ رَجَعَ إِلَيْهِ فَلْيَنْفُضْهُ بِصَنِفَةِ[١] إِزَارِهِ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَإِنَّهُ لَا يَدْرِي مَا خَلَفَهُ عَلَيْهِ بَعْدُ، فَإِذَا اضْطَجَعَ فَلْيَقُلْ: بِاسْمِكَ رَبِّي وَضَعْتُ جَنْبِي، وَبِكَ أَرْفَعُهُ، فَإِنْ أَمْسَكْتَ نَفْسِي فَارْحَمْهَا، وَإِنْ أَرْسَلْتَهَا فَاحْفَظْهَا بِمَا تَحْفَظُ بِهِ عِبَادَكَ الصَّالِحِينَ.

---

(١) هي حاشية الإزار التي تلي جسده. «طيبي».

فَإِذَا اسْتَيْقَظَ فَلْيَقُلْ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَافَانِي فِي جَسَدِي، وَرَدَّ عَلَيَّ رُوحِي، وَأَذِنَ لِي بِذِكْرِهِ»[1].

وعن حذيفة رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ إذا أراد أن ينام قال: «بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ أَمُوتُ وَأَحْيَا». وإذا استيقظ من منامه قال: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَحْيَانَا بَعْدَ مَا أَمَاتَنَا، وَإِلَيْهِ النُّشُورُ»[2].

سؤال العافية عند النوم

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، أنه أمر رجلًا إذا أخذ مضجعه قال:

«اللَّهُمَّ [أَنْتَ] خَلَقْتَ نَفْسِي وَأَنْتَ تَوَفَّاهَا، لَكَ مَمَاتُهَا وَمَحْيَاهَا، إِنْ أَحْيَيْتَهَا فَاحْفَظْهَا، وَإِنْ أَمَتَّهَا فَاغْفِرْ لَهَا، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَافِيَةَ».

فقال له رجل: أسمعت هذا من عمر؟ فقال: من خير من عمر، من رسول الله ﷺ[3].

سؤال العافية
في الصباح والمساء

عن عبد الرحمن بن أبي بكرة أنه قال لأبيه يا أبتِ إني أسمعك تدعو كلَّ غداةٍ:

«اللَّهُمَّ عَافِنِي فِي بَدَنِي، اللَّهُمَّ عَافِنِي فِي سَمْعِي، اللَّهُمَّ عَافِنِي فِي بَصَرِي، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ»، تُعيدُها ثلاثًا حين تصبحُ، وثلَاثًا حين تمسي!

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٤٠١) بهذا اللفظ، وحسنه الألباني. وهو بنحوه في «الصحيحين»، دون قوله: «فَإِذَا اسْتَيْقَظَ فَلْيَقُلْ...» إلخ.

(٢) أخرجه البخاري (٦٣٢٤)، وفي مواضع أخرى، وأخرجه (٦٣٢٥)، وفي مواضع أخرى، من حديث أبي ذر رضي الله عنه، وأخرجه مسلم (٢٧١١)، من حديث البراء رضي الله عنه، كلاهما بألفاظ متقاربة.

(٣) أخرجه مسلم (٢٧١٢)، وغيره.

وتقول: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْكُفْرِ وَالْفَقْرِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ»، تعيدُها حين تصبحُ ثلاثًا، وثلاثًا حين تمسي!

قال: نعم يا بُنَيَّ، إني سمعتُ النبيَّ ﷺ يدعو بهنَّ، فأُحبُّ أن أَسْتَنَّ بسنته.

قال: وقال النبي ﷺ: «دَعَوَاتُ الْمَكْرُوبِ: اللَّهُمَّ رَحْمَتَكَ أَرْجُو، فَلَا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ، [وَ]أَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ»[1].

وعن جُبَيْرِ بن أبي سليمان بن جُبَيْرِ بن مُطْعِمٍ قال: سمعت ابن عمر يقول: لم يَكُنْ رسولُ الله ﷺ يَدَعُ هؤلاء الدعواتِ حين يمسي وحين يصبح:

«اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ، فِي دِينِي وَدُنْيَايَ، وَأَهْلِي وَمَالِي، اللَّهُمَّ اسْتُرْ عَوْرَاتِي، وَآمِنْ رَوْعَاتِي، اللَّهُمَّ احْفَظْنِي مِنْ بَيْنِ يَدَيَّ، وَمِنْ خَلْفِي، وَعَنْ يَمِينِي، وَعَنْ شِمَالِي، وَمِنْ فَوْقِي، وَأَعُوذُ بِعَظَمَتِكَ أَنْ أُغْتَالَ مِنْ تَحْتِي». قال أبو داود: قال وكيعٌ: يعني الخَسْفَ[2].

قال الصنعاني[3]: العافية في الدين: السلامة من المعاصي، والابتداع، وترك ما يجب، والتساهل في الطاعات، وفي الدنيا: السلامة من شرورها ومصائبها، وفي الأهل: السلامة من سوء العِشرة، والأمراض والأسقام، وشَغْلِهم بطلب التوسع في الحطام، وفي المال: السلامة من الآفات التي تحدث فيه.

فصل

ومن الأذكار الجامعة في هذا المقام، مما يتضمن تحصيل العافية ـ ولم يأت بلفظها ـ ما جاء عن أبي مَوْدُودٍ، عمّن سمع أَبَانَ بن عثمان يقول:

---

(١) أخرجه أبو داود (٥٠٩٠)، وأحمد (٢٠٤٣٠ - ط الرسالة)، واللفظ له، وغيرهما، وحسنه الألباني.

(٢) أخرجه أبو داود (٥٠٧٤)، وغيره، وصححه الألباني.

(٣) «سبل السلام» (٧١١/٢).

سمعت عثمان ـ يعني ابن عفان ـ يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«مَنْ قَالَ: بِسْمِ اللَّهِ الَّذِي لَا يَضُرُّ مَعَ اسْمِهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ، وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، لَمْ تُصِبْهُ فَجْأَةُ بَلَاءٍ حَتَّى يُصْبِحَ، وَمَنْ قَالَهَا حِينَ يُصْبِحُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، لَمْ تُصِبْهُ فَجْأَةُ بَلَاءٍ حَتَّى يُمْسِيَ».

قال: فأصاب أَبَانَ بن عثمان الفَالِجُ[1]، فجعل الرجلُ الذي سمع منه الحديث ينظر إليه، فقال له: ما لك تنظر إلي؟ فوالله ما كذبتُ على عثمان، ولا كذب عثمانُ على النبي ﷺ، ولكنَّ اليومَ الذي أصابني فيه ما أصابني غضبتُ فنسيتُ أن أقولها[2].

وفي لفظ: عن ابن أبي الزِّناد، عن أبيه، عن أَبَانَ بن عثمان قال: سمعت عثمان بن عفان يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«مَا مِنْ عَبْدٍ يَقُولُ فِي صَبَاحِ كُلِّ يَوْمٍ وَمَسَاءِ كُلِّ لَيْلَةٍ: بِسْمِ اللَّهِ الَّذِي لَا يَضُرُّ مَعَ اسْمِهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ، وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَيَضُرُّهُ شَيْءٌ».

قال: وكان أَبَانُ قد أصابه طَرَفٌ من الفَالِجِ، فجعل الرجلُ ينظر إليه! فقال له أَبَانُ: ما تنظرُ إليَّ؟! أمَا إنّ الحديث كما قد حدثتُكَ، ولكني لم أقلْهُ يومئذٍ لِيُمْضِيَ اللَّهُ عَلَيَّ قَدَرَه.

ومنها: عن سُهَيْلِ بن أبي صالح، عن أبيه، عن أبي هريرة، عن النبي

---

(١) الفالِج: شلل يصيب أحد شِقَّي الجسم طُولًا. «وسيط».

(٢) أخرجه أبو داود (٥٠٨٨) بهذا اللفظ، والترمذي (٣٣٨٨)، وابن ماجه (٣٨٦٩)، واللفظ الثاني لهما، لم يختلفا إلا في أحرف يسيرة، وأخرجه غيرهم. وصححه الألباني.

ﷺ قال:

«مَنْ قَالَ حِينَ يُمْسِي ثَلَاثَ مَرَّاتٍ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ، لَمْ يَضُرَّهُ حُمَةٌ[1] تِلْكَ اللَّيْلَةَ».

قال سُهَيْلٌ: فكان أهلُنا تَعَلَّموها، فكانوا يقولونها كلَّ ليلة، فلُدِغَتْ جاريةٌ منهم فلم تجد لها وجَعًا[2].

وفي لفظ: عن أبي هريرة أنه قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، ما لَقِيتُ من عقربٍ لدغتني البارحةَ! قال:

«أَمَا لَوْ قُلْتَ حِينَ أَمْسَيْتَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ[3] مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ، لَمْ تَضُرَّك».

سؤال العافية في قيام الليل

عن عاصم بن حُمَيْدٍ قال: سألت عائشة: بما كان رسول الله ﷺ يَستفتح قيامَ الليل؟ قالت: لقد سألتني عن شيء ما سألني عنه أحدٌ قبلك، كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُكَبِّرُ عَشْرًا، وَيَحْمَدُ عَشْرًا، وَيُسَبِّحُ عَشْرًا، وَيُهَلِّلُ عَشْرًا، وَيَسْتَغْفِرُ عَشْرًا، وَيَقُولُ:

«اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، وَاهْدِنِي، وَارْزُقْنِي، وَعَافِنِي، أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ ضِيقِ الْمَقَامِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[4].

---

(١) الحُمَة: السم.

(٢) أخرجه الترمذي (٣٩٦٦) بهذا اللفظ، ومسلم (٣٧٠٨)، واللفظ الثاني له، وأبو داود (٣٨٩٨)، وغيرهم.

(٣) التامات: أي: الكاملات التي لا نقص فيها ولا عيب، والتي من تعوذ بها حصل له كل خير ونفع وشفاء، واندفع عنه كل شر وضر، وكفته من كل شيء.

(٤) أخرجه أبو داود (٧٦٦)، والنسائي (١٦١٧ و٥٥٣٥)، وغيرهما، وصححه الألباني.

الاستعاذة بمعافاة الله من عقوبته في السجود في صلاة الليل

عن عائشة رضي الله عنها قالت: فقدتُ رسولَ الله ﷺ ليلةً من الفراش فالتمسْتُهُ فوقعتْ يَدِي على بَطْنِ قدميه وهو في المسجد وهما منصوبتان، وهو يقول:

«اللَّهُمَّ أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ، لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ، أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ»(١).

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، أن رسول ﷺ كان يقول في آخر وتره:

«اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وَ[أَعُوذُ] بِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ، لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ، أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ»(٢).

سؤال العافية في القنوت في الوتر

عن الحسن بن علي رضي الله عنهما قال: علمني رسول الله ﷺ كلماتٍ أقولُهنّ في قنوت الوتر:

«اللَّهُمَّ اهْدِنِي فِيمَنْ هَدَيْتُ، وَعَافِنِي فِيمَنْ عَافَيْتُ، وَتَوَلَّنِي فِيمَنْ تَوَلَّيْتَ، وَبَارِكْ لِي فِيمَا أَعْطَيْتَ، وَقِنِي شَرَّ مَا قَضَيْتَ، فَإِنَّكَ تَقْضِي وَلَا

(١) أخرجه مسلم (٤٨٦)، وغيره.

(٢) أخرجه أبو داود (١٤٢٧)، والترمذي (٣٥٦٦)، وغيرهما، وصححه الألباني.

يُقْضَى عَلَيْكَ، وَإِنَّهُ لَا يَذِلُّ مَنْ وَالَيْتَ، وَلَا يَعِزُّ مَنْ عَادَيْتَ، تَبَارَكْتَ رَبَّنَا وَتَعَالَيْتَ، لَا مَنْجَا مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ»[1].

قال ابن القيم[2]: وقوله (وعافني فيمن عافيت): إنما يسأل ربه العافية المطلقة، وهي العافية من الكفر والفسوق والعصيان، والغفلة والإعراض، وفعل ما لا يحبه، وترك ما يحبه، فهذا حقيقة العافية، ولهذا ما سئل الرب شيئًا أحب إليه من العافية[3]، لأنها كلمة جامعة للتخلص من الشر كله وأسبابه.

سؤال العافية بين السجدتين

عن ابن عباس رضي الله عنهما، أن النبي ﷺ كان يقول بين السجدتين:

«اللَّهُمَّ (وفي لفظ: رَبِّ) اغْفِرْ لِي، وَارْحَمْنِي، [وَاجْبُرْنِي]، [وَارْفَعْنِي] وَعَافِنِي، وَاهْدِنِي، وَارْزُقْنِي»[4].

سؤال العافية (الشفاء) للمريض والدعاء له باسم الشافي

عن ابن عباس رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال:

«مَنْ عَادَ مَرِيضًا لَمْ يَحْضُرْ أَجَلُهُ فَقَالَ عِنْدَهُ سَبْعَ مِرَارٍ: أَسْأَلُ اللَّهَ الْعَظِيمَ رَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ أَنْ يَشْفِيَكَ، إِلَّا عَافَاهُ اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ الْمَرَضِ»[5].

(١) أخرجه أبو داود (١٤٢٥)، وغيره، وصحح إسناده الألباني، وانظر «أصل صفة الصلاة» (ص ٩٧٣-٩٧٤).

(٢) «شفاء العليل» (ص ١١١).

(٣) يشير إلى حديث ابن عمر رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: «مَا سُئِلَ اللَّهُ شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنَ العَافِيَةِ». أخرجه الترمذي (٣٥٤٨)، وغيره، وضعفه الألباني.

(٤) أخرجه أبو داود (٨٥٠)، واللفظ الثاني والزيادات لغيره، وحسنه الألباني، انظر «أصل صفة الصلاة» (ص ٨٠٩). ونقل قول النووي في «المجموع» (٤٣٧/٣): «فالاحتياط والاختيار أن يَجمع بين الروايات، ويأتي بجميع ألفاظها، وهي سبعة».

(٥) أخرجه أبو داود (٣١٠٦)، وغيره، وصححه الألباني.

وعن عائشة رضي الله عنها، أن رسول الله ﷺ كان إذا أَتَى مَرِيضًا أو أُتِيَ به قال:

«أَذْهِبِ البَاسَ، رَبَّ النَّاسِ، اشْفِ وَأَنْتَ الشَّافِي، لَا شِفَاءَ إِلَّا شِفَاؤُكَ، شِفَاءً لَا يُغَادِرُ سَقَمًا»(١).

وعنها رضي الله عنها قالت: كنت أُعَوِّذُ رسول الله ﷺ بدعاء كان جبريل يعوِّذُهُ به إذا مرض:

«أَذْهِبِ الْبَاسَ، رَبَّ النَّاسِ، تُنْزِلُ الشِّفَاءَ، لَا شَافِيَ إِلَّا أَنْتَ، اشْفِ شِفَاءً لَا يُغَادِرُ سَقَمًا». فلما كان في مرضه الذي توفي فيه جعلتُ أدعو بهذا الدعاء، فقال رسول الله ﷺ:

«ارْفَعِي يَدَكِ، فَإِنَّهَا كَانَتْ تَنْفَعُنِي فِي الْمُدَّةِ»(٢).

فصل

ومن الأدعية المتضمنة سؤال العافية مع شيء من التفصيل والتعداد لما يُسألُ اللهُ تعالى أن يعافيَ العبدَ ويعيذه منه، ما جاء في حديث أنسٍ رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ يقول:

«اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ، وَالْكَسَلِ، وَالْبُخْلِ، وَالْهَرَمِ، وَالْقَسْوَةِ، وَالْعَيْلَةِ، وَالذِّلَّةِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْفَقْرِ، وَالْكُفْرِ، وَالشِّرْكِ، وَالنِّفَاقِ، وَالسُّمْعَةِ، وَالرِّيَاءِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الصَّمَمِ، وَالْبَكَمِ، وَالْجُنُونِ، وَالْبَرَصِ، وَالْجُذَامِ، وَسَيِّءِ الْأَسْقَامِ»(٣).

---

(١) متفق عليه.

(٢) أخرجه ابن حبان (١٤٢٣- موارد)، وغيره، وصححه الألباني.

(٣) أخرجه أبو داود (١٥٥٤)، والنسائي (٢٤٧٠)، كلاهما مختصرًا، وابن حبان (٢٤٤٦- موارد)، واللفظ له، وغيرهم، وصححه الألباني.

وحديث أَبِي الْيَسَرِ رضي الله عنه، أن رسول ﷺ كان يدعو:

«اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْهَدْمِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ التَّرَدِّي، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْغَرَقِ، وَالْحَرَقِ، وَالْهَرَمِ، وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ يَتَخَبَّطَنِي الشَّيْطَانُ عِنْدَ الْمَوْتِ، وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ أَمُوتَ فِي سَبِيلِكَ مُدْبِرًا، وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ أَمُوتَ لَدِيغًا»[١].

وعن أبي سعيد رضي الله عنه، أن جبريلَ أتى النبيَّ ﷺ فقال: يَا مُحَمَّدُ، اشْتَكَيْتَ؟ فقال: «نَعَمْ». قال:

«بِاسْمِ اللهِ أَرْقِيكَ، مِنْ كُلِّ شَيْءٍ يُؤْذِيكَ، مِنْ شَرِّ كُلِّ نَفْسٍ أَوْ عَيْنِ حَاسِدٍ، اللهُ يَشْفِيكَ، بِاسْمِ اللهِ أَرْقِيكَ»[٢].

وعن عبد الله بن عَمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال النبي ﷺ:

«إِذَا جَاءَ الرَّجُلُ يَعُودُ مَرِيضًا، فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ اشْفِ عَبْدَكَ يَنْكَأُ لَكَ عَدُوًّا[٣]، أَوْ يَمْشِي لَكَ إِلَى صَلَاةٍ»[٤].

وفي ظاهر الحديث أن أعظم ما يُراد من عَيْش المؤمن هو الجهاد في سبيل الله تعالى، والمشي إلى صلاة الجماعة.

وعن عثمان بن أبي العاص الثَّقَفِيِّ رضي الله عنه، أنه شكا إلى رسول الله ﷺ وَجَعًا يجدُه في جسده منذ أسلم، فقال له رسول الله ﷺ:

«ضَعْ يَدَكَ عَلَى الَّذِي تَأَلَّمَ مِنْ جَسَدِكَ، وَقُلْ: بِاسْمِ اللهِ، ثَلَاثًا، وَقُلْ سَبْعَ

---

(١) أخرجه أبو داود (١٥٥٢)، وغيره، وصححه الألباني.

(٢) أخرجه مسلم (٢١٨٦).

(٣) أي: يُكْثِر في عدوك الجراح والقتل فيوهنهم.

(٤) أخرجه أبو داود (٣١٠٧)، وغيره، وهو في «السلسلة الصحيحة» (١٣٠٤).

مَرَّاتٍ: أَعُوذُ بِـ[عِزَّةِ] اللهِ وَقُدْرَتِهِ مِنْ شَرِّ مَا أَجِدُ وَأُحَاذِرُ»[1].

وباب الاستعاذة من الأسقام جملة وتفصيلًا، وطلب الشفاء منها، ونحوه، باب يطول الكلام فيه، والأدعية فيه كثيرة، فلتُنْظر في مظانّها من كتب الأدعية والأذكار، وأجلها «كتاب النووي»، وكتب ما يسمى بعمل اليوم والليلة، وأجودها «كتاب ابن السني».

سؤال العافية للميت

عن عَوفِ بن مالك رضي الله عنه قال: صلى رسول الله ﷺ على جنازة، فحَفِظْتُ من دعائه وهو يقول:

«اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ، وَارْحَمْـهُ، وَعَافِـهِ، وَاعْـفُ عَنْـهُ، وَأَكْـرِمْ نُـزُلَهُ، وَوَسِّـعْ مُدْخَلَهُ، وَاغْسِلْهُ بِالْمَاءِ وَالثَّلْجِ وَالْبَرَدِ، وَنَقِّهِ مِنَ الْخَطَايَا كَمَا نَقَّيْـتَ الثَّـوْبَ الْأَبْيَضَ مِنَ الدَّنَسِ، وَأَبْدِلْهُ دَارًا خَيْرًا مِنْ دَارِهِ، وَأَهْلًا خَيْرًا مِنْ أَهْلِهِ، وَزَوْجًا خَيْرًا مِنْ زَوْجِهِ، وَأَدْخِلْهُ الْجَنَّةَ، [وَقِهِ فِتْنَةَ الْقَبْرِ، وَعَذَابَ النَّارِ]».

قال: حتى تمنيت أن أكون أنا ذلك الميت[2].

سؤال العافية
عند زيارة المقابر

عن بُرَيْدَةَ رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يُعَلِّمُهم إذا خرجوا إلى المقابر، فكان قائلهم يقول:

---

(١) أخرجه مسلم (٢٢٠٢)، والزيادة للسنن الأربعة عدا النسائي، وهي عنده في «الكبرى»، وإسنادها صحيح.

(٢) أخرجه مسلم (٩٦٣).

«السَّلَامُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الدِّيَارِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُسْلِمِينَ، وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللهُ [بِكُمْ] لَلَاحِقُونَ، [أَنْتُمْ لَنَا فَرَطٌ، وَنَحْنُ لَكُمْ تَبَعٌ]، أَسْأَلُ اللهَ لَنَا وَلَكُمُ الْعَافِيَةَ»(١).

النهي عن تمني لقاء العدو والأمر بسؤال العافية

عن موسى بن عُقْبَةَ قال: حدثني سالمٌ أبو النَّضْرِ، مولى عمرَ بنِ عُبَيْدِ الله، كنتُ كاتبًا له، قال: كَتَبَ إليه عبدُ الله بن أبي أَوْفَى، حين خرج إلى الحَرُورِيَّةِ، فقرأته، فإذا فيه:

إن رسول الله ﷺ في بعض أيامه التي لَقِيَ فيها العدوَّ، انتظر حتى مالت الشمس، ثم قام في الناس، فقال:

«أَيُّهَا النَّاسُ، لَا تَمَنَّوْا لِقَاءَ الْعَدُوِّ، وَسَلُوا اللَّهَ الْعَافِيَةَ، فَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاصْبِرُوا، وَاعْلَمُوا أَنَّ الْجَنَّةَ تَحْتَ ظِلَالِ السُّيُوفِ». ثم قال:

«اللَّهُمَّ مُنْزِلَ الْكِتَابِ، وَمُجْرِيَ السَّحَابِ، وَهَازِمَ الْأَحْزَابِ، اهْزِمْهُمْ وَانْصُرْنَا عَلَيْهِمْ»(٢).

سؤال السلامة عند رؤية الهلال

عن طَلْحَةَ بن عُبَيْدِ الله رضي الله عنه، أن النبي ﷺ كان إذا رأى الهلال قال:

---

(١) أخرجه مسلم (٩٧٥)، واللفظ له، والنسائي (٢٠٤٠)، والزيادة له، وغيرهما.

(٢) متفق عليه.

«اللَّهُمَّ أَهْلِلْهُ عَلَيْنَا بِالْيُمْنِ وَالْإِيمَانِ، وَالسَّلَامَةِ وَالْإِسْلَامِ، رَبِّي وَرَبُّكَ اللَّهُ»[1].

وفي لفظ: «اللَّهُمَّ أَهِلَّهُ عَلَيْنَا بِالْأَمْنِ وَالْإِيمَانِ، وَالسَّلَامَةِ وَالْإِسْلَامِ، رَبِّي وَرَبُّكَ اللَّهُ».

والسلامة هنا: النجاة من كل ما يَضُر ويؤذي من الشرور والأسقام وسائر الآفات، وهي بنحو معنى الأمن، وهما (أعني: الأمن والسلامة) العافية الدنيوية، وقابلهما ﷺ بالإيمان والإسلام، وهما العافية الدينية.

❑❑❑❑❑

(١) أخرجه الترمذي (٣٤٥١)، والحاكم (٤/٢٨٥)، باللفظ الثاني، وغيرهما، وصححه الألباني.

الباب الثالث

في

الأدعية المطلقة الواردة
فى سؤال العافية

الأدعية المطلقة
في سؤال العافية

عن علي رضي الله عنه قال: كان من دعاء رسول الله ﷺ:

«اللَّهُمَّ مَتِّعْنِي بِسَمْعِي وَبَصَرِي، حَتَّى تَجْعَلَهُمَا الْوَارِثَ مِنِّي، وَعَافِنِي فِي دِينِي وَجَسَدِي، وَانْصُرْنِي مِمَّنْ ظَلَمَنِي، حَتَّى تُرِيَنِي فِيهِ ثَأْرِي، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْلَمْتُ نَفْسِي إِلَيْكَ، وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ، وَأَلْجَأْتُ ظَهْرِي إِلَيْكَ، وَخَلَّيْتُ وَجْهِي إِلَيْكَ، لَا مَلْجَأَ مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ، آمَنْتُ [بِنَبِيِّكَ] الَّذِي أَرْسَلْتَ، وَبِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ»[(1)].

قال الشوكاني[(2)]: «في الحديث سؤاله ﷺ أن يمتعه الله سبحانه وتعالى بسمعه وبصره، لأن مَنْ لا يسمع ولا يبصر لا يصفو له عيش، ولا تطيب له حياة، ومعنى جَعْلِهما الوارثَيْن منه: أن يموت وهما صحيحان سويان، فكأنهما ورثاه وبقيا بعده».

وعن شَكَلِ بن حُمَيْدٍ رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله، علِّمني دعاءً أَنتفعُ به. قال:

«قُلِ: اللَّهُمَّ عَافِنِي مِنْ شَرِّ سَمْعِي، وَبَصَرِي، وَلِسَانِي، وَقَلْبِي، وَشَرِّ مَنِيِّي». قال وكيع: (مَنِيِّي)؛ يعني: الزنا والفجور[(3)].

---

(١) أخرجه الحاكم (٧٠٩/١)، وغيره، وهو في «صحيح الجامع» (١٢٦٩).

(٢) «تحفة الذاكرين» (٤٣٢).

(٣) أخرجه أبو داود، والترمذي، والنسائي، والبخاري في «الأدب» (٦٦٣)، وغيرهم، وصححه الألباني.

وعن طارق الأشجعي رضي الله عنه، أنه سمع النبي ﷺ وأتاه رجل فقال: يا رسول الله، كيف أقول حين أسأل ربي؟ قال:

«قُلِ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، وَارْحَمْنِي، وَعَافِنِي، وَارْزُقْنِي» ـ ويَجْمَعُ أصابعَه إلا الإبهامَ ـ «فَإِنَّ هَؤُلَاءِ تَجْمَعُ لَكَ دُنْيَاكَ وَآخِرَتَكَ»(١).

وفي لفظ: كان الرجل إذا أسلم عَلَّمَهُ النبيُّ ﷺ الصلاة، ثم أمره أن يدعو بهؤلاء الكلمات:

«اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، وَارْحَمْنِي، وَاهْدِنِي، وَعَافِنِي، وَارْزُقْنِي».

هذا، وقد تقدم التنبيه والتأكيد على ملازمة سؤال العافية ليل نهار، وأنها أفضل دعوة يدعوها العبد.

فسؤال العافية مندوب إليه في كل وقت، مؤكَّد عليه في كل حين، فليُكْثِرْ عبدٌ منه أو لِيُقِلَّ، فإنه إنما يسأل لنفسه، ويدعو لسعادتها، ويرغب إلى الله تعالى في راحتها وسلامتها، وهو مع هذا محتاج إلى العافية مع الأنفاس.

وكان عبد الأعلى التَّيمي يقول: أكثروا من سؤال الله العافية، فإن المُبتلَى وان اشتد بلاؤه ليس بأحق بالدعاء من المعافَى الذى لا يأمن البلاء، وما المبتلَوْن اليوم إلا من أهل العافية بالأمس، وما المبتلَوْن بعد اليوم إلا من أهل العافية اليوم(٢).

❑❑❑❑❑

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٩٧)، وغيره.

(٢) «عدة الصابرين» (ص ١٤٠).

الباب الرابع

في

السؤال عن العافية يوم القيامة
ووجوب شكر الله تعالى عليها

السؤال عن النعيم

قال الله تعالى: ﴿ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴾ [التكاثر:٨].

قالوا في تفسير النعيم: العافية. روى ابن جرير عن أبي جعفر: ﴿ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴾؛ قال: العافية.

وقالوا: الأمن والصحة. روى ابن جرير في «تفسيره» عن مجاهد: ﴿ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴾؛ قال: الأمن والصحة.

وروى عن سفيان: ﴿ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴾؛ قال: الأمن والصحة.

وروى عن الشَّعبي قال: النعيم المسؤول عنه يوم القيامة: الأمن والصحة.

وقالوا: السمع والبصر وصحة البدن. روى ابن جرير عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: ﴿ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴾؛ قال: «النعيم» صحة الأبدان والأسماع والأبصار، قال: يَسأل الله العباد فيم استعملوها؟ وهو أعلم بذلك منهم، وهو قوله: ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾ [الإسراء:٣٦].

وقالوا في تفسير النعيم غير ذلك، والسؤال في الآية يشمل كل أنواع النعيم، وذلك أنه لم يأت عن الله تعالى ولا عن رسوله ﷺ شيءٌ يقيد النعيم المراد بالآية بنوع منه دون آخر، فالآية على ظاهرها من أن العبد يُسأل عن النعيم، وهذا يشمل كل أنواعه.

ومن فسره بنوعٍ دون آخر لم يقصد تقييده بذلك النوع، وإنما هو من باب تفسير الشيء ببعض أجزائه، بحسب المناسبة والحال.

ومما يدل على ذلك أنه تقدم قول مجاهد: الأمن والصحة. كما رواه عنه ابن جرير.

هذا، وروى عنه في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ لَتُسۡـَٔلُنَّ يَوۡمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴾؛ قال: عن كل شيء من لذة الدنيا.

وروى عن قتادة قوله: ﴿ ثُمَّ لَتُسۡـَٔلُنَّ يَوۡمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴾: إن الله عز وجل سائلٌ كلَّ عبد عما استودعه من نعمه وحقه.

وروى عنه أيضًا: إن الله تعالى ذكره سائلٌ كلَّ ذي نعمة فيما أنعم عليه.

أول ما يسأل عنه العبد من النعيم

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«إِنَّ أَوَّلَ مَا يُسْأَلُ عَنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ - يعني: الْعَبْدَ مِنَ النَّعِيمِ ـ أَنْ يُقَالَ لَهُ: أَلَمْ نُصِحَّ لَكَ جِسْمَكَ، وَنُرْوِيَكَ مِنَ الْمَاءِ الْبَارِدِ؟»[١].

وفي لفظ: «إِنَّ أَوَّلَ مَا يُسْأَلُ عَنْهُ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ النَّعِيمِ أَنْ يُقَالَ لَهُ: أَلَمْ أُصِحَّ لَكَ الْجِسْمَ، وَأُرْوِكَ مِنَ الْمَاءِ الْبَارِدِ؟».

قال الصنعاني[٢]: وخَصّ هاتين بالأولية لأنهما أم النعم، فإن الصحة هي

(١) أخرجه الترمذي (٣٣٥٨)، وغيره. واللفظ الثاني لعبد الله بن أحمد في «زوائد الزهد» (رقم ١٦٧). وصححه الألباني

(٢) «التنوير» (٣/٦٠٥)، وانظر معه «موعظة المؤمنين» (ص ٣١٨).

نعمة مفردة تأتي بكل جمع، فإن كل نعمة في ضمنها، والتروية من الماء نعمة يَقصر اللسانُ عن وصفها، فإن إيجاد الماء من عجائب نعم الله، فإنه جسم رقيق لطيف سيّال، متصل الأجزاء كأنه شيء واحد، لطيف التركيب، سريع القَبول للطبع، مُسَخَّرٌ للتصرف، قابل للاتصال والانفصال، فيه حياة كل ما على وجه الأرض من حيوان ونبات، فلو احتاج العبد إلى شَرْبة ماء ومُنِع منها لبذل جميع خزائن الأرض ومُلْك الدنيا في تحصيلها لو مَلَكَ ذلك، ثم لو شربها ومُنِع من إخراجها لبذل جميع خزائن الأرض ومُلْك الدنيا في إخراجها، والعجب من الآدمي يستعظم الدينار والدرهم، ونفيس الأحجار من الجواهر، وينسى نعمة الله في هذا الشيء المبذول الذي مَنَّ الله به على عباده.

السؤال عن نعمة
السمع والبصر ونعمة المال والولد

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء: ٣٦].

قال ابن سعدي: أي ولا تتبع ما ليس لك به علم، بل تَثَبَّتْ في كل ما تقوله وتفعله، فلا تظنَّ ذلك يذهب لا لك ولا عليك، ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾، فحقيق بالعبد الذي يَعرف أنه مسؤول عما قاله وفعله، وعما استعمَل به جوارحه التي خلقها الله لعبادته، أن يُعِدَّ للسؤال جوابًا، وذلك لا يكون إلا باستعمالها بعبودية الله وإخلاص الدين له، وكَفِّها عما يكرهه الله تعالى. اهـ.

قال ابن القيم[1]: فإذا كان العبد مسؤولًا ومحاسَبًا على كل شيء، حتى على سمعه وبصره وقلبه، فهو حقيق أن يحاسب نفسه قبل أن يناقَش الحساب. اهـ

وعن أبي هريرة وأبي سعيد رضي الله عنهما قالا: قال رسول الله ﷺ:

«يُؤْتَى بِالْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ: أَلَمْ أَجْعَلْ لَكَ سَمْعًا وَبَصَرًا، وَمَالًا وَوَلَدًا، وَسَخَّرْتُ لَكَ الْأَنْعَامَ وَالْحَرْثَ، وَتَرَكْتُكَ تَرْأَسُ وَتَرْبَعُ؟ فَكُنْتَ تَظُنُّ أَنَّكَ مُلَاقِي يَوْمَكَ هَذَا؟ فَيَقُولُ: لَا. فَيَقُولُ لَهُ: الْيَوْمَ أَنْسَاكَ كَمَا نَسِيتَنِي»[2].

قوله تعالى: (تركتك ترأس وتربع)؛ قال النووي: أي تأخذ المِرباع الذي كانت ملوك الجاهلية تأخذه من الغنيمة، وهو ربعها، يقال: رَبَعْتُهم؛ أي: أخذت رُبع أموالهم، ومعناه: ألم أجعلْك رئيسًا مطاعًا.

قال: وقال القاضي بعد حكايته نحو ما ذكرته: عندي أن معناه تركتك مستريحًا لا تحتاج إلى مشقة وتعب، من قولهم: اربع على نفسك؛ أي: ارفق بها. اهـ

ومعنى قوله تعالى: (اليوم أنساك)؛ قال الترمذي: يقول: اليوم أتركك في العذاب. اهـ

وتقدم قريبًا[3] قول ابن عباس رضي الله عنهما.

قلت: حقيقة السؤال عن هذه النعم (السمع والبصر والفؤاد) أن

---

(١) «إغاثة اللهفان» (٨٤/١).

(٢) أخرجه الترمذي (٢٤٢٨)، وقال: «صحيح غريب». وصححه الألباني.

(٣) انظر (صفحة ٤٩).

يُسأل: هل أدى شكرَها؟ وهل استعملها في طاعة الله تعالى وحَفِظها أم عصى الله تعالى بها؟! وكذلك الأمر في سائر النعم؛ في الأبدان، والأموال، والأولاد، وغيرها.

وعن عَدِيِّ بن حاتمٍ رضي الله عنه قال: بينا أنا عند النبي ﷺ إذ أتاه رجل فشكا إليه الفاقة[1]، ثم أتاه آخر فشكا إليه قَطْعَ السبيل، فقال: «يَا عَدِيُّ، هَلْ رَأَيْتَ الْحِيرَةَ ؟» قلت: لم أرها وقد أُنبئت عنها. قال:

«فَإِنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ لَتَرَيَنَّ الظَّعِينَةَ[2] تَرْتَحِلُ مِنَ الْحِيرَةِ، حَتَّى تَطُوفَ بِالْكَعْبَةِ، لَا تَخَافُ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ».

قلت فيما بيني وبين نفسي: فأين دُعَّارُ طَيِّءٍ[3] الذين قد سَعَّروا البلاد.

«وَلَئِنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ لَتُفْتَحَنَّ كُنُوزُ كِسْرَى». قلت: كسرى بن هُرْمُزَ؟! قال: «كِسْرَى بْنِ هُرْمُزَ».

«وَلَئِنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ لَتَرَيَنَّ الرَّجُلَ يُخْرِجُ مِلْءَ كَفِّهِ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ فِضَّةٍ، يَطْلُبُ مَنْ يَقْبَلُهُ مِنْهُ، فَلَا يَجِدُ أَحَدًا يَقْبَلُهُ مِنْهُ.

وَلَيَلْقَيَنَّ اللَّهَ أَحَدُكُمْ يَوْمَ يَلْقَاهُ، وَلَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تَرْجُمَانٌ يُتَرْجِمُ لَهُ، فَلَيَقُولَنَّ لَهُ:

أَلَمْ أَبْعَثْ إِلَيْكَ رَسُولًا فَيُبَلِّغَكَ؟ فَيَقُولُ: بَلَى، فَيَقُولُ: أَلَمْ أُعْطِكَ مَالًا وَأُفْضِلْ عَلَيْكَ؟ فَيَقُولُ: بَلَى.

---

(١) أي: الحاجة والفقر.

(٢) الظَّعْن: الركوب للسفر، والظَّعِينَة: المرأة في السفر.

(٣) جمع داعر، وهو الشاطر الخبيث المفسد، والمراد قطاع الطريق. «فتح».

فَيَنْظُرُ عَنْ يَمِينِهِ فَلَا يَرَى إِلَّا جَهَنَّمَ، وَيَنْظُرُ عَنْ يَسَارِهِ فَلَا يَرَى إِلَّا جَهَنَّمَ».

قال عَدِيٌّ: سمعت النبي ﷺ يقول:

«اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقَّةِ تَمْرَةٍ، فَمَنْ لَمْ يَجِدْ شِقَّةَ تَمْرَةٍ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ».

قال عَدِيٌّ: فرأيت الظَّعِينَة ترتحل من الحِيرة حتى تطوفَ بالكعبة لا تخافُ إلا الله، وكنت فيمن افتَتح كنوزَ كسرى بن هُرْمُزَ، ولئن طالت بكم حياةٌ لتَرَوُنَّ ما قال النبي أبو القاسم ﷺ: «يُـخْرِجُ مِلْءَ كَفِّهِ»(١).

وفي لفظ: «فَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَاقِي اللَّهَ وَقَائِلٌ لَهُ مَا أَقُولُ لَكُمْ: أَلَمْ أَجْعَلْ لَكَ سَمْعًا وَبَصَرًا؟ فَيَقُولُ: بَلَى. فَيَقُولُ: أَلَمْ أَجْعَلْ لَكَ مَالًا وَوَلَدًا؟ فَيَقُولُ: بَلَى. فَيَقُولُ: أَيْنَ مَا قَدَّمْتَ لِنَفْسِكَ؟ فَيَنْظُرُ قُدَّامَهُ وَبَعْدَهُ، وَعَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ، ثُمَّ لَا يَجِدُ شَيْئًا يَقِي بِهِ وَجْهَهُ حَرَّ جَهَنَّمَ، لِيَقِ أَحَدُكُمْ وَجْهَهُ النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، فَإِنْ لَمْ يَجِدْ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ». الحديث.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قالوا: يا رسول الله، هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال:

«هَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ فِي الظَّهِيرَةِ، لَيْسَتْ فِي سَحَابَةٍ؟» قالوا: لا. قال:

«فَهَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، لَيْسَ فِي سَحَابَةٍ؟» قالوا: لا. قال:

«فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَا تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ رَبِّكُمْ إِلَّا كَمَا تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ أَحَدِهِمَا». قال: «فَيَلْقَى الْعَبْدَ، فَيَقُولُ: أَيْ فُلْ(٢)، أَلَمْ أُكْرِمْكَ، وَأُسَوِّدْكَ،

---

(١) أخرجه البخاري (١٤١٣ و ٣٥٩٥)، وفي مواضع أخرى، ومسلم (١٠١٦) مختصرًا، وغيرهما. واللفظ الثاني للترمذي (٢٩٥٣)، وحسنه الألباني.

(٢) معناه: يا فلان.

وَأُزَوِّجْكَ، وَأُسَخِّرْ لَكَ الْخَيْلَ وَالْإِبِلَ، وَأَذَرْكَ تَرْأَسُ وَتَرْبَعُ؟ فَيَقُولُ: بَلَى». قال: «فَيَقُولُ: أَفَظَنَنْتَ أَنَّكَ مُلَاقِيَّ؟ فَيَقُولُ: لَا. فَيَقُولُ: فَإِنِّي أَنْسَاكَ كَمَا نَسِيتَنِي.

ثُمَّ يَلْقَى الثَّانِيَ فَيَقُولُ: أَيْ فُلْ، أَلَمْ أُكْرِمْكَ، وَأُسَوِّدْكَ، وَأُزَوِّجْكَ، وَأُسَخِّرْ لَكَ الْخَيْلَ وَالْإِبِلَ، وَأَذَرْكَ تَرْأَسُ وَتَرْبَعُ؟ فَيَقُولُ: بَلَى، أَيْ رَبِّ. فَيَقُولُ: أَفَظَنَنْتَ أَنَّكَ مُلَاقِيَّ؟ فَيَقُولُ: لَا. فَيَقُولُ: فَإِنِّي أَنْسَاكَ كَمَا نَسِيتَنِي.

ثُمَّ يَلْقَى الثَّالِثَ، فَيَقُولُ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، آمَنْتُ بِكَ، وَبِكِتَابِكَ، وَبِرُسُلِكَ، وَصَلَّيْتُ، وَصُمْتُ، وَتَصَدَّقْتُ، وَيُثْنِي بِخَيْرٍ مَا اسْتَطَاعَ، فَيَقُولُ: هَاهُنَا إِذًا». قال:

«ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: الْآنَ نَبْعَثُ شَاهِدَنَا عَلَيْكَ، وَيَتَفَكَّرُ فِي نَفْسِهِ: مَنْ ذَا الَّذِي يَشْهَدُ عَلَيَّ؟ فَيُخْتَمُ عَلَى فِيهِ، وَيُقَالُ لِفَخِذِهِ وَلَحْمِهِ وَعِظَامِهِ: انْطِقِي، فَتَنْطِقُ فَخِذُهُ وَلَحْمُهُ وَعِظَامُهُ بِعَمَلِهِ، وَذَلِكَ لِيُعْذِرَ مِنْ نَفْسِهِ، وَذَلِكَ الْمُنَافِقُ، وَذَلِكَ الَّذِي يَسْخَطُ اللهُ عَلَيْهِ»[1].

فصل

هذا، ونِعَمُ الله كثيرة لا تحصى، قال سبحانه:

﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [النحل:١٨].

وقال سبحانه: ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلۡتُمُوهُۚ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَظَلُومٞ كَفَّارٞ﴾ [إبراهيم:٣٤].

وقال تبارك اسمه: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ﴾ [النحل:٥٣].

---

(١) أخرجه مسلم (٢٩٦٨).

وقال عز وجل: ﴿أَلَمْ تَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ [لقمان:٢٠].

وقال عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ * ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ * فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ﴾ [الانفطار:٦-٨].

وقال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۖ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ [الملك:٢٣].

وقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل:٧٨].

وعن عبد الله بن قيسٍ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«مَا أَحَدٌ أَصْبَرَ عَلَى أَذًى يَسْمَعُهُ مِنَ اللهِ تَعَالَى، إِنَّهُمْ يَجْعَلُونَ لَهُ نِدًّا، وَيَجْعَلُونَ لَهُ وَلَدًا، وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ يَرْزُقُهُمْ وَيُعَافِيهِمْ وَيُعْطِيهِمْ»[١].

وقال تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ * وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ﴾ [البلد:٨-٩].

قال مجاهد: هذه نِعَمٌ من الله متظاهرةٌ يقرِّرُكَ بها كيما تَشكُر.

وقرأ الفضيل ليلة هذه الآية، فبكى، فسئل عن بكائه، فقال: هل بِتَّ ليلة شاكرًا لله أن جعل لك عينين تبصر بهما؟ هل بِتَّ ليلة شاكرًا لله أن جعل لك لسانًا تنطق به؟ وجعل يعدد من هذا الضرب[٢].

وقال صالح بن جناح الدمشقي لابنه[٣]: يا بني، إذا مر بك يوم وليلة

(١) متفق عليه، واللفظ لمسلم.

(٢) «جامع العلوم والحكم» (٧٠٩/٢).

(٣) «تاريخ دمشق» (٣٢٥/٢٣-٣٢٦).

قد سَلِم فيها دينك وجسمك ومالك وعيالك فأكثر الشكر لله تعالى، فكم من مسلوب دينُه ومنزوع ملكه ومهتوك ستره ومقصوم ظهره في ذلك اليوم وأنت في عافية! وفيه أقول:

لو أنني أُعطيتُ سؤلي لما ... سألت إلا العفو والعافيهْ

فكم فتًى قد بات في نعمةٍ ... فسُلَّ منها الليلةَ الثانيهْ

وعن أبي ذر رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، أنه قال:

«يُصْبِحُ عَلَى كُلِّ سُلَامَى مِنْ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ، فَكُلُّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةٌ، وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ، وَنَهْيٌ عَنِ الْمُنْكَرِ صَدَقَةٌ، وَيُجْزِئُ مِنْ ذَلِكَ رَكْعَتَانِ يَرْكَعُهُمَا مِنَ الضُّحَى»[(١)].

قوله: (على كل سلامى)، قال النووي[(٢)]: أصله عظام الأصابع وسائر الكف، ثم استُعْمِل في جميع عظام البدن ومفاصله.

قال ابن رجب[(٣)]: معنى الحديث: أن تركيب هذه العظام وسلامتها من أعظم نعم الله على عبده، فيحتاج كل عظم منها إلى صدقة يتصدق ابن آدم عنه، ليكون ذلك شكرًا لهذه النعمة. اهـ.

فيا طالب العافية من الرحمن الرحيم، ويا باغيَ الفضل من نعم الجواد الكريم، أدّ شكرها، بأن تحمد الله تعالى عليها، وتستعملها في طاعته، وأداء حقه فيها، وحق عباده، فإن فعلت فأبشر بالزيادة، فقد قال الغني الحميد:

---

(١) أخرجه مسلم (٧٢٠).

(٢) «شرح مسلم» (٥/٢٣٣).

(٣) «جامع العلوم والحكم» (٢/٧٠٨).

﴿ وَإِذۡ تَأَذَّنَ رَبُّكُمۡ لَئِن شَكَرۡتُمۡ لَأَزِيدَنَّكُمۡۖ وَلَئِن كَفَرۡتُمۡ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٞ ﴾ [إبراهيم:٧].

وقد قيل(١):

إذا جُدِّدَتْ نعمةٌ لامرئٍ فتكميلُها جِدَّةُ(٢) العافيهْ
وبالشكر قُدِّر تجديدُها ولِلَّهِ بعدُ يدٌ شافيهْ

وكن من القليل الذين قال الله تبارك وتعالى فيهم: ﴿وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ﴾ [سبأ:١٣].

قال أبو الفرج بن الجوزي: الرجل كل الرجل من يصبر على العافية(٣)، وهذا الصبر متصل بالشكر، فلا يتم إلا بالقيام بحق الشكر، وإنما كان الصبر على السراء شديدًا لأنه مقرون بالقدرة، والجائع عند غَيْبة الطعام أقدر منه على الصبر عند حضور الطعام اللذيذ.

وقال بعض السلف: البلاء يصبر عليه المؤمن والكافر، ولا يصبر على العافية إلا الصِّدِّيقون.

وقال عبد الرحمن بن عوف: ابتُلينا بالضراء فصبرنا، وابتُلينا بالسراء فلم نصبر(٤).

---

(١) «ديوان ابن الرومي».

(٢) الجِدَّةُ: علامة توضع في الطريق يُهتدَى بها، فالمعنى: فتكميلها علامة العافية. أو الجِدَّةُ: الحالة الجديدة، فالمعنى: فتكميلها تجديد العافية. والله أعلم.

(٣) أي: بأن لا يغتر بها، ويركن إليها، ويغفل عن القيام بحق الله فيها، بل يشكره سبحانه عليها، ويؤدي حقه فيها، باستعمال جوارحه في طاعته. وانظر ـ إن شئت ـ مزيدَ توضيحٍ (صفحة ٧٧).

(٤) «الآداب الشرعية» (٤/١).

وقال عون بن عبد الله: الخير الذي لا شر فيه الشكر مع العافية، فكم من مُنْعَم عليه غير شاكر! وكم من مبتلًى غير صابر![1].

فصل

وإذا ما أتم الله عليك النعمة وأسبغها عليك فاستعذ بالله من زوالها، وإذا ما مَنَّ عليك بالعافية وألبسك ثوبها فاستعذ به جل ثناؤه من تَحَوُّلها، فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: كان من دعاء رسول الله ﷺ:

«اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ زَوَالِ نِعْمَتِكَ، وَتَحَوُّلِ عَافِيَتِكَ، وَفُجَاءَةِ نِقْمَتِكَ، وَجَمِيعِ سَخَطِكَ»[2].

قال الشوكاني[3]: «استعاذ ﷺ من تحول عافيته سبحانه، لأنه إذا كان قد اختصه الله سبحانه بعافيته فقد ظفر بخير الدارين، فإن تحولت عنه فقد أُصيب بشر الدارين، فإن العافية يكون بها صلاح أمور الدنيا والآخرة». اهـ.

واعلم أيها اللبيب العاقل، وكن على حذر، أن أعظم سبب لتحول العافية ورفعها هو المجاهرة بالمعاصي، كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«كُلُّ أُمَّتِي مُعَافًى إِلَّا الْمُجَاهِرِينَ، وَإِنَّ مِنَ الْمُجَاهَرَةِ أَنْ يَعْمَلَ الرَّجُلُ بِاللَّيْلِ عَمَلًا، ثُمَّ يُصْبِحَ وَقَدْ سَتَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ، فَيَقُولَ: يَا فُلَانُ،

---

(١) «حلية الأولياء» (٤/٢٥٤).

(٢) أخرجه مسلم (٢٧٣٩).

(٣) «تحفة الذاكرين» (ص ٤٢١) بحذف يسير.

عَمِلْتُ الْبَارِحَةَ كَذَا وَكَذَا، وَقَدْ بَاتَ يَسْتُرُهُ رَبُّهُ، وَيُصْبِحُ يَكْشِفُ سِتْرَ اللَّهِ عَنْهُ»[1].

وفي «الفوائد» لابن القيم[2]: يا مُكْرَمًا بحُلة الإيمان بعد حُلة العافية، وهو يُخْلِقهما[3] في مخالفة الخالق، لا تُنْكِرِ السَلَب، يستحق من استعمل نعمة المنعِم فيما يَكره أن يُسْلَبَها.

وفي «بدائع الفوائد»[4]: من نظر في أحوال أهل عصره، وما أزال الله عنهم من نعمه، وجد ذلك كله من سوء عواقب الذنوب، كما قيل:

إذا كنتَ في نعمةٍ فارْعَها ... فإنّ المعاصي تُزيلُ النِّعَمْ

فما حُفِظَتْ نعمةُ الله بشيء قَطُّ مثل طاعته، ولا حصلت فيها الزيادة بمثل شكره، ولا زالت عن العبد بمثل معصيته لربه، فإنها نار النعم التي تعمل فيها كما تعمل النار في الحطب اليابس. اهـ.

وفي «الفوائد»[5]: قاعدة جليلة. قد فكرت في هذا الأمر، فإذا أصله أن تعلم أن النعم كلها من الله وحده، نعم الطاعات ونعم اللذات، فترغب إليه أن يلهمك ويوزعك شكرها، قال تعالى: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴾ [النحل:٥٣]، وقال: ﴿فَٱذْكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف:٦٩]. وقال: ﴿وَٱشْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ

---

(١) متفق عليه.

(٢) (ص ٤٢-٤٣).

(٣) أي: يبليهما، أخلق فلانٌ ثوبَه: أبلاه، أي: لبسه حتى بَلِيَ.

(٤) (٢/٢٠٦)

(٥) (ص ١٩٨).

تَعۡبُدُونَ ﴾ [النحل:١١٤]. وكما أن تلك النعم منه، ومن مجرد فضله، فذكرها وشكرها لا يُنال إلا بتوفيقه، والذنوب من خذلانه وتَخَلِّيه عن عبده، وتَخْلِيته بينه وبين نفسه، وإن لم يَكشف ذلك عن عبده فلا سبيل له إلى كشفه عن نفسه، فإذًا هو مضطر إلى التضرع والابتهال إليه أن تُدفع عنه أسبابُها حتى لا تصدر منه، وإذا وقعت بحكم المقادير ومقتضى البشرية فهو مضطر إلى التضرع والدعاء أن يدفع عنه موجباتها وعقوباتها، فلا ينفك العبد عن ضرورته إلى هذه الأصول الثلاثة، ولا فلاح له إلا بها: الشكر، وطلب العافية، والتوبة النصوح. اهـ.

فصل

وإياك إياك أيها المعافَى، أن تَستقلّ شيئًا مما أنعم الله عليك، فإن ما أنت فيه من صحة البدن، والسلامة من السُّقْم، هو أجل النعم، وأفضل العطايا، بعد الإيمان، وعبادة الرحمن.

ومما يعين على ذلك النظرُ ـ فيما أُوتيتَ من نعم ـ إلى مَنْ هو دونك، فإنه أدعى ألا تَستقلّ شيئًا مما وهبك الله تعالى، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«انْظُرُوا إِلَى مَنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ، وَلَا تَنْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَكُمْ، فَهُوَ أَجْدَرُ أَنْ لَا تَزْدَرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ»(١).

وفي لفظ: «إِذَا نَظَرَ أَحَدُكُمْ إِلَى مَنْ فُضِّلَ عَلَيْهِ فِي الْمَالِ وَالْخَلْقِ فَلْيَنْظُرْ إِلَى مَنْ هُوَ أَسْفَلَ مِنْهُ».

---

(١) متفق عليه، وهذا اللفظ لمسلم.

قال النووي[1]: معنى (أجدر): أحق، و(تزدروا): تَحقِروا. قال ابن جرير وغيره: هذا حديث جامع لأنواع من الخير، لأن الإنسان إذا رأى من فُضِّل عليه في الدنيا طلبت نفسه مثل ذلك، واستصغر ما عنده من نعمة الله تعالى، وحَرِص على الازدياد ليلحق بذلك أو يقاربه، هذا هو الموجود في غالب الناس، وأما إذا نظر في أمور الدنيا إلى من هو دونه فيها ظهرت له نعمة الله تعالى عليه، فشكرها وتواضع وفعل فيه الخير.

قال العراقي: ومن هنا ينبغي للإنسان اجتناب الاختلاط بأهل الدنيا والتوسع منها ومن كسبها ونعيمها؛ لأنه قد يؤدي إلى هذه المفسدة. وقال بعضهم: جالست الأغنياء فاحتقرت لباسي إلى لباسهم ودابتي إلى دوابّهم، وجالست الفقراء فاسترحت. اهـ.

وقيل[2]:

إذا ما كساك الله سِربال صحةٍ ... ولم تَخْلُ من قُوتٍ يَحِلُّ ويَعْذُبُ

فلا تَغْبِطنّ المكثرين فإنما ... على قَدْرِ ما يكسوهمُ الدهرُ يَسْلُبُ

وقال قَبِيصَةُ بن ذُؤَيْبٍ: كنا نسمع نداء عبد الملك من وراء الحجرة في مرضه: يا أهل النعم، لا تَستقلّوا شيئًا من النعم مع العافية.

وروي أنه لما حضرته الوفاة أَمَرَ فصُعِد به إلى أعلى سطح في داره، فقال: يا دنيا، ما أطيبَ ريحَك! يا أهل العافية، لا تَستقلّوا منها شيئًا[3].

---

(١) «شرح مسلم» (١٨/٩٧).

(٢) «ربيع الأبرار» (٣/١٦٢).

(٣) «التذكرة الحمدونية» (٢/٢٩).

وما أحسن ما قال أبو الأزهر[١]:

مـــــا أنعـــــم الله على عبـــــدهِ	بنعمـــــة أوفى مـــــن العافيـــــهْ
وكلُّ مَـــــنْ عُـــــوفيَ في جســـــمهِ	فإنـــــه في عيشـــــة راضـــــيهْ

وقيل: جاء رجل إلى يونس بن عُبَيْدٍ يشكو ضِيق حاله، فقال له يونس: أيَسُرُّك ببَصَرك هذا الذي تُبصر به مِائة ألف درهم؟ قال: الرجل لا. قال: فبيَدَيْك مِائة ألف؟ قال الرجل: لا. قال: فبرِجْلَيك؟ قال الرجل: لا. قال: فذَكَّره بنعم الله عليه. وقال يونس: أَرى عندك مِئِينَ أُلُوفٍ وأنت تشكو الحاجة؟![٢].

وحُكِيَ عن بعضهم أنه كان يقول أبدًا: العافية العافية...، فقيل له: ما معنى هذا الدعاء؟! فقال: كنت حَمّالًا في ابتداء أمري، وكنت حملت يومًا صدرًا من الدقيق، فوضعته لأستريح، فكنت أقول: يا رب، لو أعطيتني كل يوم رغيفين من غير تعب لكنت أكتفي بهما، فإذا رجلان يختصمان، فتقدمت أُصلح بينهما، فضرب أحدهما رأسي بشيء أراد أن يضرب به خصمه، فدَمَى وجهي، فجاء صاحب الرُّبْع[٣] فأخذهما، فلما رآني ملوثًا بالدم أخذني، وظن أنني ممن تشاجر، فأدخلني السجن، وبقيت في السجن مدةً أُوتى كلَّ يوم برغيفين.

فرأيت ليلة في المنام قائلًا يقول لي: إنك سألت الرغيفين كل يوم من

---

(١) «خريدة القصر» (١٧٥/١).

(٢) «الشكر» لابن أبي الدنيا (رقم ١٠١).

(٣) أي: صاحب الشرطة.

غير نَصَب، ولم تسأل العافية!! فأُعطيت ما سألت (!). فانتبهت، وقلت: العافية العافية، فرأيت باب السجن يُقرع، وقيل: أين عمر الحمّال؟ فأطلقوني وخلوا سبيلي[(١)].

❑❑❑❑❑

(١) «الرسالة القشيرية» (٥٦٧/٢).

الباب الخامس

في

فوائد وحكم في باب العافية

فضل العافية

ومما قاله الحكماء والأدباء في شأن العافية وفضلها إضافة إلى ما تقدم:

قال أكثم بن صيفي: العافية المُلْك الخَفِيّ[1].

وعن وَهْبِ بن مُنَبِّهٍ قال: مكتوب في حكمة آل داود: العافية المُلْك الخَفِيّ[2].

وقيل (وعُزِيَ إلى الإنجيل): العافية مُلْك خَفِيّ، والهم نصف الهَرَم[3].

وقيل: العافية المُلْك الخَفِيّ الهَنِيّ[4].

وكان أبو الدرداء رضي الله عنه يقول: الصحة غِنَى الجسد[5].

وقيل: ثوب العافية أهنأ الملابس. العافية أشرف اللِّباسَيْن. دوام العافية أهنأ عطية، وأفضل قِسْم. صحة الأجسام من أهنأ الأقسام.

ونُسِبَتْ هذه إلى علي رضي الله عنه.

وقال: لا لباسَ أجملُ من العافية[6].

وقال ابن عُيينة: من تمام النعمة طول الحياة في الصحة والأمن

---

(١) «نثر الدر» (١٠٩/٤).

(٢) «جامع العلوم والحكم» (٧٦/٢).

(٣) «التمثيل والمحاضرة» (ص ١٤).

(٤) «محاضرات الأدباء» (٤٠٩/٢).

(٥) «الشكر» لابن أبي الدنيا (رقم ١٠٢).

(٦) «المستطرف» (١٧٩/١).

والسرور[1].

وسئل خُرَيْمٌ عن لذة الدنيا فقال: الأمن؛ فإنه لا عيش لخائف، والعافية؛ فإنه لا عيش لسقيم، والغِنى؛ فإنه لا عيش لفقير[2].

وقيل: العقل والحياة والعافية أَثَافِيُّ[3] النعمة الكبرى، ودعائمُ العطية الأولى.

وقيل: الحياة وعاء، والعقل متاع، والعافية استعمال.

وقيل: صحة الجِسْم أوفرُ القِسْم[4].

وذكر بعضهم العافية فقال: وأي وِطاء!! وأي عطاء!!

وقال حكيم: إن كان شيء فوق الحياة فالصحة، وإن كان شيء مثل الحياة فالغنى، وإن كان شيء فوق الموت فالمرض، وإن كان شيء مثل الموت فالفقر.

ومن كلام بُزَرْجُمُهْر: عاداني الأعداء فلم أر عدوًّا أعدى من نفسي، وعالجت الشجعان والسباع فلم يغلبني أحد كصاحب السوء، وأكلت الطَّيِّب وضاجعت الحسان فلم أر ألذ من العافية[5].

وكان الخُوَارِزْمي إذا وصف جارية بالحُسن قال: كأنها سُوق العروس، وكأنها العافية في البدن، وكأنها مائة ألف دينار[6].

---

(١) «المستطرف» (ص ٢٨٢).

(٢) «زهر الآداب» (٤٤١/٢).

(٣) مفردها أُثْفِيَّة، وهي أحجارٌ ثلاثةٌ تُوضع عليها القِدْر فوق المَوقد، ولا تستقر إلا بها مجتمعة، ويقال للثالثة المتممة: ثالثة الأَثَافِيِّ. فهذه الثلاثة: العقل والحياة والعافية، هي الأَثَافِيُّ والدعائم الثلاث التي تقوم عليها النعمة الكبرى والعطية الأولى، التي هي الهداية والإسلام، فإنه أعظم نعمة من الله عز وجل وأفضل عطية.

(٤) القِسْم: النصيبُ والحَظُّ.

(٥) «الكشكول» (٥/١).

(٦) «ثمار القلوب» (ص ٣١٩).

وقيل لبعضهم: أي الجُنَن[1] أوقى؟ قال: العافية[2].

وقيل: ثلاث لا يُشبع منهن: العافية، والحياة، والمال[3].

قال أكثم بن صيفي: العيش في سبعة أشياء: الولد البار، والزوجة الصالحة، والأخ المساعد، والخادم العاقل، والعافية السابغة، والقوت الكافي، والأمن الشامل[4].

وقيل[5]: البحر لا جِوارَ له[6]، والمَلِك لا صديق له، والعافية لا ثَمَن لها.

قال الأصمعي: سمعت أعرابيًّا يقول لرجل: جَنَّبَك اللهُ الأَمَرَّين، وكفاك شر الأَجْوَفين، وأذاقك البَرْدين.

الأَمَرّان: الفقر والعُرْي، والأجوفان: البطن والفرج، والبَرْدان: برد الغنى وبرد العافية[7].

وقيل: أسعد الناس من جعل اللهُ النعمةَ وِطاءه، والعافيةَ غِطاءه، والعقلَ عَطاءه[8].

وقيل لرجل من بني قُشَيْر: ما السرور؟ قال: الأمن والعافية. قال: صدقت.

وقد قيل: العيش في سَعة الرزق، وصحة الجسم، وإقبال الزمان، وعز

---

(١) جمعٌ مفرده: جُنَّة، وهي كل ما سَتر ووَقى من سلاح وغيره.

(٢) «محاضرات الأدباء» (٢/١٨٣).

(٣) «محاضرات الأدباء» (٢/٧٤٢).

(٤) «الصداقة والصديق» (ص ٢٦٧).

(٥) «التذكرة الحمدونية» (٢/٢٩).

(٦) أي: لا أمان له.

(٧) «البصائر والذخائر» (٣/١٦٤).

(٨) «التمثيل والمحاضرة» (ص ٨٣).

السلطان[١]، ومعاشرة الإخوان[٢].

قال حكيم: ثلاثة لا يُشبع منها: الحياة، والعافية، والمال[٣].

وقيل: لا تزالُ غنيًّا، ما دُمتَ سَوِيًّا[٤].

وقيل: صلاح الآخرة بخَلَّة واحدة: وهي التقوى، وصلاح الدنيا بثلاث: العافية، والغنى، والعُمُر.

وقيل: الدنيا بحذافيرها: الأمن، والعافية[٥].

وقال علي رضي الله عنه: العَجَب لغفلة الحُسّاد، عن سلامة الأجساد[٦].

أي: أن أصحاب الأجساد السليمة في نعمة عظيمة، فعلام يحسدون الناس؟! فلا ينبغي للمعافَى أن يحسد أحدًا، بل هو الذي يَغبطه غيرُه ويَتمنى حالَه. أو العَجَب منهم يَحسدون على المال والجاه، وهم غافلون عما هو أولى بالحسد، وهو صحة الجسد.

وقال إياس بن معاوية: صحة الأبدان مع الشمس ذَهَبُ أهلِ العَمَد[٧] والوَبَر.

ولشيخ الشيوخ عبد العزيز[٨]:

---

(١) واهًا لسلطان المسلمين! وأمير المؤمنين! وبقية الراشدين! واهًا لخليفة قرشيّ! وعَيْشٍ في ظِلّه هَنِيّ!

(٢) «المحاسن والمساوئ» (ص ١٢٧).

(٣) «المحاضرات في اللغة والأدب» (ص ١٠٩).

(٤) «محاضرات الأدباء» (٥١٤/١).

(٥) «محاضرات الأدباء» (٤٠٩/٢).

(٦) «ربيع الأبرار» (١٦٣/٣).

(٧) العَمَد: جمع عَمود. وأهل العَمَد؛ أي: أهل الأخبية (مفردها: خِباء) التي تُضرب على الأعمدة. والخِباء: الخيمة. وهم أهل الوَبَر، البدو، لأنهم يتخذون بيوتهم من الوَبَر. وهو الصوف.

(٨) «فوات الوفيات» (٣٥٩/٢).

سِتٌّ عيـونٍ مَـنْ تأَتَّـتْ لهُ كانــت له شــافيةً كافيــهْ
العِلْمُ والعلياءُ والعفوُ والعِـ ــــزّةُ والعِفَّــةُ والعافيــهْ

نقش خاتم الزهري

عن عُقَيْلِ بن خالد قال: رأيت على ابن شِهاب(١) خاتَمًا نقشه: محمد يسأل الله العافية(٢).

بضدها تتبين الأشياء

قال ابن تيمية(٣): من ذاق الفقر والمرض والخوف أحرص على الغنى والصحة والأمن ممن لم يذق ذلك، ولهذا يقال: والضِّد يُظْهِر حُسْنَه الضِّدُّ. ويقال: وبضِدِّها تتبين الأشياء.

قال: ومثال ذلك: من ذاق طعم الجوع ثم ذاق طعم الشِّبَع بعده، أو ذاق المرض ثم ذاق طعم العافية بعده، أو ذاق الخوف ثم ذاق الأمن بعده، فإن محبة هذا ورغبته في العافية والأمن والشِّبَع، ونفوره عن الجوع والخوف والمرض، أعظم ممن لم يُبْتَلَ بذلك، ولم يعرف حقيقته. اهـ.

وقيل(٤):

ومَنْ يَطُـلْ سُـقْمُه عليـه يجِـدْ خيرًا مِـن المـال صـحةَ الجسـدْ
ومـا لِمَـنْ نـال فَضْـلَ عافيــةٍ وقُــوتَ يــومٍ فَقْــرٌ إلى أحــدْ

---

(١) محمد بن شِهاب الزُّهْري الإمام. (ت ١٢٤).
(٢) «حلية الأولياء» (٣/٣٧٠).
(٣) انظر «مجموع الفتاوى» (١٠/٣٠٢-٣٠٣).
(٤) «ربيع الأبرار» (٣/١٦٤).

الغنى والستر من العافية

وقال الإمام أحمد: الغنى من العافية[1].

وعن أيوب السختياني قال: قال لي أبو قِلَابة: يا أيوب، احفظ عني ثلاث خصال: إياك وأبوابَ السلطان، وإياك ومجالسةَ أصحاب الأهواء، والزم سوقك، فإن الغنى من العافية[2].

وعن مُؤَمَّلِ بن إسماعيل قال: سمعت سفيان الثوري يقول: الستر من العافية[3].

وقال منصور الفقيه[4]:

أفضـــلُ مـــا نـــال الفـــتى بعـــد الهـــدى والعافيـــهْ
قرينـــــــةٌ مســـــــلمةٌ عفيفـــــــةٌ مُواتيـــــــهْ

ويُروى[5]:

أفضـــلُ مـــا نـــال الفـــتى بعـــد الهـــدى والعافيـــهْ
امـــــــرأةٌ جميلـــــــةٌ عفيفـــــــةٌ مُواتيـــــــهْ

حكاية يا فقري يا حبيبي

وقيل: لما أخذ يعقوبُ بن الليث محمدَ بن طاهر، وقبض على جواريه وغلمانه وقهارمته[6] ووكلائه، وطرحهم في المحابس، وسلط عليهم

---

(١) «الآداب الشرعية» (١٢٠/٢).

(٢) «جامع بيان العلم» (٣٣٥/١).

(٣) «حلية الأولياء» (٦/٧ و١٩).

(٤) «بهجة المجالس» (ص ١٨٠ و٢٠٠).

(٥) «بهجة المجالس» (ص ٢٠٠).

(٦) القَهَارِمة جمعٌ مفرده: القُهْرَمانُ، وهو: أَمينُ المَلِك ووكيله الخاص بتدبير دَخْلِه وخَرْجِه (فارسي معرب). «وسيط».

العذاب، نظر إليهم فقير، فعاين نفسه واغتبط بالسلامة وقال: يا فقري يا حبيبي، إنما كنت أطلبك لهذا اليوم[1].

وتُروى: أن لصوصًا أغاروا على جماعة ليلًا، فكانوا كلما سمعوا من خيمة صوت حيوان أغاروا على من فيها، وأثخنوا فيهم قتلًا ونهبًا وسلبًا، وكان صاحب خيمة لا يملك شيئًا، فنجا، فلما ذهب اللصوص، قال وهو يحمد السلامة والعافية: يا فقري يا حبيبي! يا فقري يا حبيبي!

حكاية فأرة البيوت مع فأرة الصحراء

قيل: إن فأرة البيوت رأت فأرة الصحراء في شدّة ومحنة، فقالت لها: ما تصنعين ههنا؟ اذهبي معي إلى البيوت التي فيها أنواع النعيم والخِصْب. فذهبت معها، وإذا صاحب البيت الذي كانت تسكنه قد هيأ لها الرَّصَد؛ لَبِنَة تحتها شحمة، فاقتحمت لتأخذ الشحمة فوقعت عليها اللَّبِنَة فحطمتها، فهربت الفأرة البرية، وهزّت رأسها متعجبة، وقالت: أرى نعمة كثيرة وبلاءً شديدًا! ألا وإنّ العافية والفقر أحب إليّ من غِنًى يكون فيه الموت. ثم فرّت إلى البرية[2].

حكاية الخنزير والأتان

كان عند رُومي خنزير، فربطه إلى أسطوانة، ووضع العلف بين يديه ليسمنه، وكان بجنبه أَتَانٌ[3] لها جحش، وكان ذلك الجحش يلتقط من

(١) «ربيع الأبرار» (٣/١٦٥).

(٢) «المستطرف» (ص ٢٨٠)

(٣) أنثى الحمار.

العلف ما يتناثر، فقال لأمه: يا أماه، ما أطيب هذا العلف لو دام! فقالت له: يا بنيّ لا تقربه، فإنّ وراءه الطامة الكبرى. فلما أراد الرُّومي أن يذبح الخنزير ووضع السكين على حلقه جعل يضطرب وينفخ، فهرب الجحش وأتى إلى أمه وأخرج لها أسنانه وقال: ويحك يا أماه! انظري هل بقي في خلال أسناني شيء من ذلك العلف فاقلعيه! فما أحسن القَنَع مع السلامة[١]!

إيثار الخمول طلبًا للعافية

قال عبد الملك لأعرابي: تَمَنَّ. فقال: العافية. قال: ثم ماذا؟ قال: رزق في دَعَة. قال: ثم ماذا؟ قال: الخمول، فإني رأيت الشر إلى ذي النباهة أسرع[٢].

وقيل للمقفع والد عبد الله: هلَّا تحركت لتُذْكَر كما ذُكِر ابنُك؟! فقال: إني لَمَا رأيت معاليَ الأمور مشفوعةً بالمتالف اقتصرت على الخمول، ضَنًّا مني بالعافية. فاستحسنَتِ الحكماءُ ذلك، وقالوا: أنت في فِعلك أحسنُ من عبد الله في قوله.

وقال آخر مُبديًا علمَه بما يقول، موضحًا عُذْرَه فيه[٣]:

لقـد رَضِـيَتْ همـتي بـالخمو ... ل ولم تَـرْضَ بالرتـب العاليـهْ
وما جَهِلَتْ طِيب طَعم العلا ... ولكنهـــا تُـــؤثرُ العافيــــهْ

قلت: إن أرادوا بالخمول الزهد وترك السعي وراء الشهرة فنِعِمّا هو، فإن جاءت الشهرة من الله تعالى دون سعي لها وطلبًا للعلو في الأرض فحَيَّهَلًا، والميزان التقوى، فمعها تصلح الأمور، وتندفع آفاتها، إلا أن

---

(١) «المستطرف» (ص ٢٨٢)

(٢) «التذكرة الحمدونية« (٣١٩/١).

(٣) «الكشكول» (٢٣٢/١).

أصحاب الهمم العالية لا يلتفتون إلى التعب ما داموا يرومون القِمم.

الطب والمرض والعيادة

قال علي رضي الله عنه: المرض أحد الحَبْسين.

وقالوا: أم عافية كنية الحُمَّة[1].

وقالوا: أفصحتْ قارورتُك عن الصحة[2].

وقالوا في العيادة: الحمد لله الذي حرس جسمك وعافاه، ومحى عنه أثر السُّقْم وعَفَاه. الحمد لله الذي أعفاك من معاناة الألم، وعافاك للفضل والكرم. لا زالت العافية شعارك، والسلامة دثارك، ما واصل اللهُ ليلَك بنهارك.

ومن أقوالهم: أصار العافية له شعارًا، والصحة له دثارًا[3].

ومن أقوالهم في الجواب عن العيادة: كتابك أدّى رَوْحَ السلامة في أعضائي، وأوصل برْدَ العافية إلى حشائي.

وقولهم: تركني كتابُك والظَّلِيم[4] ينتسب إلى صحتي، بعد أمراض انكشفت، وأسقام اختلفت.

وقولهم: قد استبق كتابك والعافية إلى جسمي، حتى كأنهما فرسا رِهانٍ تباريا، ورسيلا[5] مِضمارٍ تَجارَيا.

---

(١) أي: الحُمَّى.

(٢) «ربيع الأبرار» (٣/١٦٢).

(٣) «صبح الأعشى» (٩/٢٠٩).

(٤) إنما خَصَّ الظَّلِيم (وهو ذَكَر النَّعَام)، لأنه يُضرب المثل به في الصحة، فيقال: أصح من ظَلِيم. والظَّلِيم والظَّبْي مَثَلان في الصحة، يقال: أصح من ظَلِيم، وأصح من ظَبْي.

(٥) الرسيل: الرسول.

وقولهم: أبدلني كتابك من حُزون الشكاية سُهولَ المعافاة، ومن شدة التألم رَخاءَ التَنعُّم[1].

من فوائد المرض

قال ابن الجوزي[2]: رأيت المعافَى لا يَعرف قَدْر العافية إلا في المرض، كما لا يَعرف شُكر الإطلاق إلا في الحَبس.

وقيل: في المرض فوائد لا ينبغي أن تجهل: الأولى: معرفة قَدْر العافية. الثانية: تمحيص بعض الذنوب. الثالثة: توقّع الثواب. الرابعة: تنقية الجسم من فضول الأخلاط. الخامسة: كثرة ذكر الله تعالى والتضرع إليه. السادسة: حدوث الرقة والشفقة. السابعة ـ وهي العظمى ـ: الصدقة والخروج عن رذيلة البخل[3].

البلاء

قال ابن الجوزي[4]: السعيد من ذل لله وسأل العافية، فإنه لا يوهب العافية على الإطلاق، إذ لا بد من بلاء، و لا يزال العاقل يسأل العافية ليتغلب على جمهور أحواله، فيَقْرُب الصبرُ على يسير البلاء.

وفي الجملة، ينبغي للإنسان أن يعلم أنه لا سبيل إلى محبوباته خالصة، ففي كل جرعة غَصَص[5]، وفي كل لقمة شَجَا[6]، فالعاقل من دارى نفسه في الصبر بوعد الأجر، و تسهيل الأمر، ليَذهب زمانُ البلاء سالمًا من شكوى،

(١) «لباب الآداب» للثعالبي (ص ٤٩-٥٠).

(٢) «صيد الخاطر» (ص ٣٩٢).

(٣) «نفح الطيب» (٢٧٧/٧).

(٤) «صيد الخاطر» (ص ٢٣٤).

(٥) غَصّ بالماء غَصًّا وغَصَصًا: وقف في حلقه فلم يكد يُسيغه، فهو غاصّ وغَصّان.

(٦) الشَّجَا: ما اعترَض ونَشِب في الحلق من عَظْم أو نحوه. «وسيط».

ثم يستغيث بالله تعالى سائلًا العافية. اهـ.

قال الحسن البصري: استوى الناس في العافية، فإذا نزل البلاء تباينوا(١).

وقيل: أربعٌ لا يَعرف قَدْرها إلا أربعٌ: لا يَعرف قَدْر الحياة إلا الموتى، ولا يَعرف قَدْر الأغنياء إلا الفقراء، ولا يَعرف قَدْر الصحة إلا أهل البلاء والسُّقْم، ولا يَعرف قَدْر الشباب إلا الشيوخ(٢).

قال سليمان التَّيْمي: إن المؤمن ليُبتلَى ويُعافَى، فيكون بلاؤه كفارةً واستعتابًا، وإن الكافر ليُبتلَى ويُعافَى فيكون مِثلَ بعيرٍ عُقِل، لا يدري فيم عُقِل ولا لِمَ أُرسل(٣).

وقال حكيم: كم من نعمة عُرِفَتْ ببلية نَزَلَتْ! ونعمةٍ جُهِلَتْ بسلامة لَبِثَتْ!

من تلمح حلاوة العافية هان عليه مرارة الصبر(٤).

وقال علي رضي الله عنه: العافية إذا دامت جُهِلت، وإذا فُقِدت عُرِفت.

وقيل(٥):

ولـــو رَفَـــعَ اللهُ عنـــا البـــلا ءَ لم نـــدرِ مـــا خَطَـــرُ العافيـــهْ

عن النَّضْر بن إسماعيل قال: مَرَّ الرَّبِيعُ بن أبي راشد برجل به زَمَانَةٌ(٦)، فجلس يحمد الله ويبكي، فمر به رجل فقال: ما يبكيك رحمك الله؟ قال:

---

(١) «صيد الخاطر» (ص ٢٨٤).

(٢) «تذكرة القرطبي» (ص ٢٢٩).

(٣) «بهجة المجالس» (٣٨٣/١).

(٤) «الفوائد» لابن القيم (ص ٥٠).

(٥) «ربيع الأبرار» (١٦٤/٣).

(٦) أي: عاهة أو مرض دائم.

ذكرت أهل الجنة وأهل النار، فشبهت أهل الجنة بأهل العافية، وأهل النار بأهل البلاء، فذلك الذي أبكاني(١).

صديق العافية

قيل(٢): الإخوان اثنان: فمحافظ عليك عند البلاء، وصديق لك في الرخاء، فاحفظ صديق البلاء، وتجنب صديق العافية، فإنه أعدى الأعداء.

وقيل: إياك وصديقَ العافية، فإنه أعدى الأعداء(٣).

ارحم أخاك
واحمد الذي عافاك

عن العُتْبي، عن أبيه قال: كان رجل من حنظلة يقول: إنه لَينبغي لك أن يدلك عقلك على ترك القول في أخيك، ففيه خلال ثلاث: أما واحدة: فلعلك أن تذكره بما هو فيك. أو لعلك تذكره بأمرٍ قد عافاك الله منه، فما هذا جزاء العافية، أن تجحد الشكر عليها. أو لعلك تذكره بما فيك أعظم منه، فذلك أشد استحكامًا لمقته إياك، أما كنت تسمع: ارحم أخاك، واحمَد الذي عافاك(٤).

الصبر على العافية ومعناه

اعلم أن جميع ما يلقى العبد في هذه الحياة لا يخلو من نوعين: ما يوافق هواه، وما لا يوافقه بل يكرهه، وهو محتاج إلى الصبر في كل واحد منهما، وهو في جميع الأحوال لا يخلو عن هذين النوعين، فإذن لا يستغني قَطُّ عن الصبر.

---

(١) «حلية الأولياء» (٧٨/٥).

(٢) «روضة العقلاء» (ص ٢٠١).

(٣) «المستطرف» (٢٧٠/١).

(٤) «الجليس الصالح» (ص ٢٢٧).

النوع الأول: ما يوافق الهوى، وهو الصحة والسلامة والمال والجاه وكثرة العشيرة واتساع الأسباب وكثرة الأتباع والأنصار وجميع ملاذ الدنيا، وما أحوج العبد إلى الصبر على هذه الأمور، فإنه إن لم يضبط نفسه عن الاسترسال والركون إليها والانهماك في ملاذها المباحة، أخرجه ذلك إلى البَطَر والطغيان، ولذلك حذر الله عباده من فتنة المال والزوج والولد، فقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾ [المنافقون:٩]. وقال عز وجل: ﴿إِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ وَأَوۡلَٰدِكُمۡ عَدُوّٗا لَّكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُمۡ ﴾ [التغابن:١٤]. فالرجل كل الرجل من يصبر على العافية، ومعنى الصبر عليها أن لا يركن إليها، وأن لا يرسل نفسه في الفرح بها، وأن يرعى حقوق الله في ماله بالإنفاق، وفي بدنه ببذل المعونة للخلق، وفي لسانه ببذل الصدق، وكذلك في سائر ما أنعم الله به عليه.

وهذا الصبر متصل بالشكر، وإنما كان الصبر على السراء أشدَّ؛ لأنه مقرون بالقدرة، والجائع عند غَيْبة الطعام أقدر على الصبر منه إذا حضرته الأطعمة اللذيذة وقَدِر عليها، فلهذا عظمت فتنة السراء[١].

❑❑❑❑❑

---

(١) «موعظة المؤمنين» (٢٨٢/١). وللكلام بقية.

الباب السادس

في

اغتنام العافية
فى طاعة الله عز وجل

اغتنام العافية
في طاعة الله عز وجل

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال النبي ﷺ:

«نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصِّحَّةُ وَالْفَرَاغُ»[1].

(مغبون فيهما)؛ أي: منقوص فيهما، يبيعهما بثمن بخس، ولا ينتهزهما في الخير، قد أعمل فيهما رأيه الفاسد، وسعيه الكاسد، فضيعهما فيما لا ينفعه، وصرفهما فيما لا يفيده، فكان من الخاسرين المخدوعين.

قال الحافظ[2]: الغَبن بالسكون وبالتحريك[3]. وقال الجوهري: هو في البيع بالسكون، وفي الرأي بالتحريك. وعلى هذا فيصح كل منهما في هذا الخبر، فإن من لا يستعملهما فيما ينبغي فقد غُبِن لكونه باعهما ببَخْس، ولم يحمد رأيه في ذلك. اهـ.

قلت: فليحذر العاقل أن يضيع أيام العافية، وأوقات الفراغ، في غير ما ينفع ويفيد، من أمور الدنيا والدين، ولينتهز فرصة الإمكان، ومهلة الزمان، في طاعة الله عز وجل، وجمع الحسنات، ولا يلتفتن إلى تقصير أبناء زمانه، ولا يقتدين بالبطالين والكسالى وضعاف الهمم، فإن الغالب على

---

(١) أخرجه البخاري.

(٢) «الفتح» (١١/٢٣٠).

(٣) يعني: بسكون الباء وتحريكها: الغَبْن، والغَبَن.

أكثر الخلق التقصير والإهمال، وتضييع الأوقات في تحصيل الشهوات، وجمع الحطام، والاشتغال بما لا يفيد، فمن فعل ذلك فقد خاب سعيه، وخسر نفسه، والعياذ بالله عز وجل.

قال ابن بطال في معنى الحديث(١): لأن المرء لا يكون فارغًا حتى يكون مَكْفِيًّا مؤنة العيش في الدنيا، فمن أنعم الله عليه بهما فليحذر أن يُغْبَنَهما، ومما يستعان به على دفع الغَبن أن يعلم العبد أن الله تعالى خلق الخلق من غير ضرورة إليهم، وبدأهم بالنعم الجليلة من غير استحقاق منهم لها، فمنّ عليهم بصحة الأجسام وسلامة العقول، وتضمن أرزاقهم، وضاعف لهم الحسنات ولم يضاعف عليهم السيئات، وأمرهم أن يعبدوه، ويعتبروا بما ابتدأهم به من النعم الظاهرة والباطنة، ويشكروه عليها بأحرفٍ يسيرة، وجعل مدة طاعتهم في الدنيا منقضية بانقضاء أعمارهم، وجَعَل جزاءهم على ذلك خلودًا دائمًا في جنات لا انقضاء لها، مع ما ذخر لمن أطاعه مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

فمن أنعم النظر في هذا كان حريًّا ألا يذهب عنه وقت من صحته وفراغه إلا وينفقه في طاعة ربه، ويشكره على عظيم مواهبه، والاعتراف بالتقصير عن بلوغ كنه تأدية ذلك، فمن لم يكن هكذا وغفل وسها عن التزام ما ذكرنا، ومرت أيامه عنه في سهو ولهو وعجز عن القيام بما لزمه لربه تعالى فقد غَبِنَ أيامه، وسوف يندم حيث لا ينفعه الندم. اهـ.

وقال الطِّيبي(٢): إن رسول الله ﷺ ضرب مثلًا للمكلف بالتاجر الذي له

---

(١) «شرح صحيح البخاري» (١٠/١٤٦).

(٢) «شرح المشكاة» (٩/٢٨٤).

رأس مال، وهو يبيع ويشتري، ويطلب من تجارته سلامة رأس المال والربح، فالواجب عليه أن يتحرى فيها مَنْ يعامله، ويكون صدوقًا غير مخادع، لئلا يَغْبِنَه في معاملته، فنعمتا الفراغ والصحة رأس مال المكلف، فينبغي له أن يعامل الله تعالى بالإيمان بالله ورسوله، والمجاهدة مع النفس وأعداء الدين، لئلا يُغْبَنَ، ويربح في الدنيا والآخرة، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ۞ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ﴾ [الصف:١٠-١١]، ويجتنب معاملة الشيطان، لئلا يُغْبَنَ، فيضيع رأس ماله مع الربح.

وقال ابن الجوزي[١]: قد يكون الإنسان صحيحًا ولا يكون متفرغًا لشغله بالمعاش، وقد يكون مستغنيًا ولا يكون صحيحًا، فإذا اجتمعا فغلب عليه الكسل عن الطاعة فهو المغبون، وتمام ذلك أن الدنيا مزرعة الآخرة، وفيها التجارة التي يظهر ربحها في الآخرة، فمن استعمل فراغه وصحته في طاعة الله فهو المغبوط، ومن استعملهما في معصية الله فهو المغبون، لأن الفراغ يعقبه الشغل، والصحة يعقبها السُّقْم، ولو لم يكن إلا الهرم! كما قيل:

يَسُرُّ الفتى طولُ السلامة والبَقا فكيف ترى طول السلامة يَفعلُ
يَرُدُّ الفتى بعد اعتدالٍ وصحةٍ يَنُوء إذا رام القيام ويُحْمَلُ

فصل

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ لرجل وهو يعظه: «اغْتَنِمْ خَمْسًا قَبْلَ خَمْسٍ: شَبَابَكَ قَبْلَ هَرَمِكَ، وَصِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ،

(١) نقلًا عن «فتح الباري» (١١/٢٣٠).

وَغِنَاكَ قَبْلَ فَقْرِكَ، وَفَرَاغَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ، وَحَيَاتَكَ قَبْلَ مَوْتِكَ»[1].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«إِنَّ مِمَّا يَلْحَقُ الْمُؤْمِنَ مِنْ عَمَلِهِ وَحَسَنَاتِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ عِلْمًا عَلَّمَهُ وَنَشَرَهُ، وَوَلَدًا صَالِحًا تَرَكَهُ، وَمُصْحَفًا وَرَّثَهُ، أَوْ مَسْجِدًا بَنَاهُ، أَوْ بَيْتًا لِابْنِ السَّبِيلِ بَنَاهُ، أَوْ نَهْرًا أَجْرَاهُ، أَوْ صَدَقَةً أَخْرَجَهَا مِنْ مَالِهِ فِي صِحَّتِهِ وَحَيَاتِهِ، يَلْحَقُهُ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهِ»[2].

وعن مجاهد، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: أخذ رسول الله ﷺ بمَنْكِبِي، فقال:

«كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ، أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ، [وَعُدَّ نَفْسَكَ فِي أَهْلِ الْقُبُورِ]».

وكان ابن عمر يقول: إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وخذ من صحتك لمرضك، ومن حياتك لموتك[3].

فبادر عبدَ الله ما دام في العمر فسحة، وفي الحياة بقية، وتدبر قول الله تعالى:

﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيْءٍ وَأَنْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأعراف:١٨٥].

واغتنم ما أنت فيه من القوة والنشاط والصحة والفراغ، وإياك إياك أن تضيع زمانك فيما لا يعود عليك بالمنافع والأرباح، فإن فعلت فإنك إذًا

(١) أخرجه الحاكم (٣٠٦/٤)، وغيره، وصححه على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي، وكذا الألباني في «تخريج اقتضاء العلم العمل» (ص ١٠٠).

(٢) أخرجه ابن ماجه (٢٤٢) وعيره، وحسنه الألباني.

(٣) أخرجه البخاري (٦٤١٦)، والزيادة للترمذي (٢٣٣٣)، وصححها الألباني في «الصحيحة» تحت الحديث (١١٥٧).

من الذين جَنَوُا الآلام والهموم والحسرات، نسأل الله لنا ولك العافية.

وأنشد الشهاب المقري بيتين للبخاري، وقال: ليس له غيرهما، وهما[1]:

اغتنم في الفراغ فضلَ ركوعٍ   فعسى أن يكون موتُك بغتهْ
كم صحيحٍ رأيتُ من غير سُقْمٍ   ذَهَبَتْ نفسُه الصحيحةُ فلتهْ

ومن العجيب أنه رحمه الله حصل له ما ذكره في البيتين، فقد مات بغته!! كما قال الحافظ وغيره[2].

وقال معاوية بن قرة: أشد الناس حسابًا الصحيح الفارغ[3].

وقال أبو الحسن المدائني: رأيت امرأة أعرابية غمّضت ميتًا وترحّمت عليه ثم قالت: ما أحقّ من أُلبس العافية، وأُطيلت له النَّظِرة، أن لا يَعجز عن التَّوَثُّق لنفسه، قبل حَلّ عُقدته، والحلول بعَقْوته[4]، والحِيالة بينه وبين نفسه[5].

وقال ابن السماك: أيها المغرور بصحته ونشاطه، أما علمت أن الأرواح يُغدى عليها بالمنايا ويُراح؟! وأنشد:

ومُؤَمِّلٌ قد قُصِرَتْ أكفانُهُ   ومُحاذِرٌ أكفانُه لم تُغْزَلِ

ويروى عن علي رضي الله عنه أنه قال: لا ينبغي للعبد أن يثق بخصلتين: العافية والغنى، بينا تراه معافًى إذ سَقُم، وبينا تراه غنيًّا إذ فَقَر[6].

---

(١) «شجرة النور الزكية» (٣٨/١).

(٢) انظر «الفتح» (٤٨١/١)، و«كوثر المعاني» (٩٢/١).

(٣) «ربيع الأبرار» (١٦١/٣).

(٤) أي: ساحته.

(٥) «البيان والتبيين» (ص ٦٠٢)، و«نثر الدر» (٣٩/٤).

(٦) «التذكرة الحمدونية» (٩٩/١).

وقال: كيف يُغْتَرُّ بسلامةِ جسمٍ مُعَرَّضٍ للآفات[1].

وقال: ما المبتلَى الذي اشتد به البلاء بأحوجَ إلى الدعاء من المعافَى الذي لا يأمن البلاء[2].

وقال عُبيد الله بن شُمَيْطٍ: سمعت أبي يقول: أيها المغتر بطول صحته، أما رأيت ميتًا قَطُّ من غير سُقْم؟! أيها المغتر بطول المهلة، أما رأيت مأخوذًا قَطّ من غير عُدَّة؟! إنك لو فكرت في طول عمرك لنسيت ما قد تقدم من لذاتك. أبالصحة تغترون؟! أم بطول العافية تمرحون؟! أم الموت تأمنون؟! أم على ملك الموت تجترئون؟! إن ملك الموت إذا جاء لا يمنعه منك ثروة مالك، ولا كثرة احتشادك. أما علمت أن ساعة الموت ذات كُرَبٍ وغُصص وندامة على التفريط؟!

ثم يقول: رحم الله عبدًا عمل لساعة الموت، رحم الله عبدًا عمل لما بعد الموت، رحم الله عبدًا نظر لنفسه قبل نزول الموت[3].

وقيل: زمام العافية بيد البلاء، ورأس السلامة تحت جناح العطب[4].

وعن عمر بن ذر، أنه كان يقول في مواعظه: لو علم أهل العافية ما تضمنته القبور من الأجساد البالية، لجَدُّوا واجتهدوا في أيامهم الخالية، خوفًا من يوم تتقلب في القلوب والأبصار[5].

قال ابن الجوزي[6]: إخواني أيام العافية غنيمة باردة، وأوقات السلامة لا

---

(١) «غرر الحكم» (ص ٤٨٣).

(٢) «المستطرف» (ص ٢٨٣).

(٣) «صفة الصفوة» (٢/٢٠٥)، و«الإحياء» (٤/٤٥٥).

(٤) «المستطرف» (ص ٣١٢).

(٥) «أهوال القبور» لابن رجب (ص ١٥٦).

(٦) «المدهش» (ص ٤٨١).

تشبهها فائدة، فتناولْ ما دامت لديك المائدة، فليست الساعات الذاهبات بعائدة.

وقال[1]: عباد الله، إنما الأيام طُرُقُ الجِدّ، والساعات ركائب المَجْد، وأيام العافية أوقات تُسْتَدْرَك، وأحيان السلامة تنادي: مَنْ جَدّ أدرك.

وقال[2]: من أظرف الأشياء إفاقة المُحْتَضر عند موته، فإن ينتبه انتباهًا لا يوصف، و يقلق قلقًا لا يُحَدّ، و يتلهف على زمانه الماضي، ويَوَدّ لو تُرِك كي يتدارك ما فاته، و يَصْدُق في توبته على مقدار يقينه بالموت، ويكاد يقتل نفسه قبل موتها بالأسف، ولو وُجِدَتْ ذرة من تلك الأحوال في أوان العافية حَصَلَ كل مقصود من العمل بالتقوى.

فالعاقل من مَثَّلَ تلك الساعة وعمل بمقتضى ذلك، فإن لم يتهيأ تصويرُ ذلك على حقيقته تخايله على قَدْر يقظته، فإنه يَكُفّ كَفَّ الهوى، ويبعث على الجِدّ، فأما من كانت تلك الساعة نَصْب عينيه كان كالأسير لها. اهـ.

وقال[3]: من أراد دوام العافية والسلامة فليتق الله عز وجل، فإنه ما من عبد أطلق نفسه في شيء ينافي التقوى ـ وإن قل ـ إلا وجد عقوبته عاجلة أو آجلة.

وقال غيره: من اتقى الله لبس العافية، وحَمِد العاقبة[4].

وقال[5]: ينبغي لمن أُلْبِسَ ثوبَ العافية أن لا يدنسه بوَسَخ الزلل.

وقال غيره:

(١) «المدهش» (ص ٥٣٩).

(٢) «صيد الخاطر» (ص ١٦١).

(٣) «صيد الخاطر» (ص ١٩٣).

(٤) «رسائل الثعالبي» (ص ٤٣).

(٥) «المدهش» (ص ٣٧٢).

قد ذقتُ أنواعَ الطعوم فلم أجدْ فيهنَّ طعمًا مثل طعم العافيهْ
فاقصُدْ وحـاذر أن تُمـرِّرَ حُلـوَهُ مما تُصيبُ وأن تُكَدِّرَ صـافيهْ

وقال(١): إن الله تعالى لم يُطْلِع على شرف العمر ومعرفة قَدْر أوقات العافية إلا مَنْ وَفقه وألهمه اغتنام ذلك، ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [فصلت:٣٥].

وقال(٢): إنما ينبغي أن يقع الاهتمام الكلي بما يزيد في درجات الفضائل قبل نزول المُعَوِّق عنها، فالسعيد من وُفِّق لاغتنام العافية، ثم يختار تحصيل الأفضل فالأفضل في زمن الاغتنام، وليعلم أن زيادة المنازل في الجنة على قَدْر التزيد من الفضائل ههنا، والعمر قصير، والفضائل كثيرة، فلْيبالغ في البِدار، فيا طول راحة التَّعِب! و يا فرحة المغموم! و يا سرور المحزون! ومتى تخايل دوام اللذة في الجنة، من غير منغص ولا قاطع هان عليه كل بلاء وشدة.

موعظة

يا مَنْ يُدْعى إلى نجاته فلا يُـجيب، يا مَنْ قد رضي أن يخسر ويَـخيب، إن أمرك طريفٌ وحالك عجيب، اذكر في زمان راحتك ساعة الوَجيب، ﴿وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ [ق:٤١].

وَيْـحك! إنّ الحق حاضر ما يَغيب، تُـحصى عليك أعمالُ الطلوع وأفعالُ المَغيب، ضاعت الرياضةُ في غير نَجيب، سيماك تَدُلُّ وما يَـخفى المُريب، اسمع لا بد لغِرْبان الفِراق من نَعيب، أنُسَاكِن الغفلةَ ولغيرنا نَعيب، يا مَنْ سِلَعُه

(١) «صيد الخاطر» (ص ٢٤١).
(٢) «صيد الخاطر» (ص ٢٨٩).

كلها مَعيب، اذكر يوم الفزع والتأنيب، ﴿ وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴾.

لا بُدّ والله من فِراق العيش الرَّطيب، والتحافِ البِلى مَكان الطِّيب، وا عجبا للذات بعد هذا كيف تَطيب! ويحك! أَحضرْ قلبك لوَعْظِ الخطيب، ﴿ وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴾.

تَذَكَّرْ مَنْ قد أُصيب، كيف نزل به يوم عصيب! وانتبه لأَحَظِّ الحَظِّ والنَّصيب، واحترز فعليك شهيد ورقيب، إذا حلَّ الموتُ حَلَّ التركيب، وتُقَلَّبُ مُقَل القلوب في قَلْب التقليب، فتنزعج الرُّوح انزعاج الصِّرمة[1] إذا أَحَسَّت بذيب، فالتفت يا مُـحِبَّ الهوى عن هذا الحبيب، ﴿ وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴾.

سَتُخْرَجُ واللـهِ من هذا الوادي الرحيب، ولا ينفعك البكاء والنَّحيب، لا بُدَّ من يومٍ يتحيَّر فيه الشُّبَّان والشِّيب، ويذهل فيه الطفل للهول ويَشيب، يا مَنْ عمله كله رديءٌ فليته قد شِيب، ﴿ وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴾.

كيف بك إذا أُحضِرْتَ في حالٍ كئيب؟ وعليك ذنوب أكثر من رَمْلٍ كثيب، والمهيمن الطالب والعظيم الحسيب، فحينئذٍ يَبْعُد عنك الأهلُ والنَّسيب، النّوْحُ أولى بك يا مغرور من التَّشْبيب، أتؤمن أم عندك تكذيب؟! أم تراك تصبر على التعذيب؟! كأنك بدمع العين ومائها قد أُذيب، اقْبَل نُصْحي وأقبل على التهذيب، ﴿ وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴾.

يا مُطالَبًا بأعماله، يا مسؤولًا عن أفعاله، يا مكتوبًا عليه جميعُ أقواله، يا مُناقَشًا على كل أحواله، نِسيانُك لهذا أمرٌ عجيب، أتسكن إلى العافية،

(١) (الصِّرْمة): القطعة من الإبل أو الغنم من العشرين إلى الثلاثين والأربعين.

وتساكن المعيشة الصافية، وتظن أَيْمانَ الغرور واقية؟ لا بد من سهمٍ مصيب، ﴿ وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴾.

لو أَحْسَنْتَ الخلاصَ أَحْسَنْتَ، لو آمَنْتَ بالعَرْض لَتَجَمَّلْتَ وتَزَيَّنْتَ، يا من قد انعجمت عليه الأمورُ لو سألتَ لتبيَّنْتَ، ويحك! أحضر قلبك إنما أنت في الدنيا غريب، ﴿ وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴾[1].

موعظة

بِعْتَ نفسك في سوق الهوان، وضيّعتَ في التواني كل الزمان، ونسيت أنك كما تدين تدان، ودعاك إلى مراضيه الشيطان، فأقبلت تتابع، ﴿ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٌ ﴾ [الطور:٧].

العمر يوم فبادر الشمس، واستدركْ ما فات بالأمس، وانتظر ساعة الغمس في الرمس[2]، واعلم أن أيام العافية خوادع، ﴿ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٌ ﴾.

خُذ حِذرك فإنك مطلوب، اسْتَلِبْ زمانك يا مسلوب، اسمع كلام الرب يا من هو مربوب، تالله لقد ملأ القلوب قبل المسامع، ﴿ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٌ ﴾.

تيقظْ لنفسك فإلى كم نوم؟ الْحَقِ الصالحين فقد سبق القوم، عاتب نفسك وبالغ في اللوم، فبين يديك يوم يذهل فيه الشافع، ﴿ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٌ ﴾.

يحضر فيه جميع الخلق، وتَلقى فيه ما لم تلق، ويقع بين الصالحين والطالحين الفَرْق، ويتسع الخرق على الراقع، ﴿ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٌ ﴾.

أفينفع حينئذ طلب الرضا؟ بعد أن جرى بالعقاب القضا، هيهات إذا فات الأمر انقضى، وليس ما مضى براجع، ﴿ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٌ ﴾[3].

---

(١) «التبصرة» (١/٩٨-٩٩).

(٢) أي: القبر.

(٣) «قرة العيون المبصرة» (٢/١٨٥-١٨٦).

موعظة

أيها الضال عن طريق الهدى، أمَا تسمع صوت الحادي وقد حدا، من لك إذا ظهر الجزاء وبَدَا، وربما كان فيه أن تشقى أبدًا، ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾ [القيامة:٣٦].

يا من تُكتب لحظاته، وتُجمع لفظاته، وتُعلم عزماته، وتُحسب عليه حركاته، إن راح أو غدا، ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾.

ويحك! إن الرقيب حاضر، [يحفظ] عليك اللسان والناظر، وهو إلى جميع أفعالك ناظر، إنما الدنيا مراحلُ إلى المقابر، وسينقضي هذا المدى، ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾.

مالي أراك في الذنوب تعجل؟! وإذا زُجِرْتَ عنها لا تَقبل، ويحك! انتبه لقبح ما تفعل، لأن الأيام في الآجال تعمل، مثل عمل المُدَى، ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾.

سترحل عن دنياك فقيرًا، لا تملك مما جمعت نقيرًا، بلى قد صرت بالذنوب عقيرًا، بعد أن رَدَاك التلفُ رِداء الردى، ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾.

كأنك بالموت قد قطع وبَتّ، وبَدَّدَ الشَّمْلَ المجتمِع وأَشَتّ، وأثر فيك الندم حينئذ وفَتّ، انتبه لنفسك فقد أشْمَتّ والله العِدا، ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾.

كأنك ببساط العمر قد انطوى، وبعُودِ الصحة قد ذَوَى[1]، وبسِلْك الإمهال قد قُطِع فهوى، اسمع يا من قتله الهوى وما وَدَى[2]، ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾.

---

(١) ذَوَى: ذَبُلَ ويَبِسَ.

(٢) أي: وما أعطى الدِّيَة. وَدَى القاتلُ القتيلَ وَدْيًا ودِيَةً ووَدْيَةً: أعطى وَلِيَّه دِيَتَه.

تَاللّٰهِ ما تُقال وما تُعذر، فإنْ كنت عاقلًا فانتبه واحذر، كم وَعَظَك أَخْذُ غيرك وكم أعذر؟! ومن أنذر قبل مجيئه فما اعتدى، ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾.

فبادر نفسك واحذر قبل الفوت، وأَصْخِ[1] للزواجر فقد رَفَعَتِ الصوت، وتنبه فطال ما قد سهوت، واعلم قطعًا ويقينًا أن الموت لا يقبل الفِدا، ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾.

انهض إلى التقوى بقريحة[2]، وابك الذنوب بعين قريحة[3]، وأزعج للجِدّ أعضاءك المستريحة، تَاللّٰهِ لئن لم تقبل هذه النصيحة لتندمنّ غدًا، ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾[4].

موعظة

بادر أيها الشابُّ قبل الهَرَم، واغتنم أيها الشيخ الصحة قبل السَّقَم، قبل أن يتمكن من بدنك الألم، ويقول لسان العتاب: ألم أقل لك؟! ألم؟![5].

❑❑❑❑❑

---

(١) أي: أَصْغ واستمِعْ.

(٢) أي: بفكر ثاقب، ورأي صائب.

(٣) أي: جريحة.

(٤) «التبصرة» (١/٢٩٢-٢٩٤).

(٥) «التبصرة» (١/٦٣).

الخاتمة

وأنتم يا أهل البلاء، اصبروا وصابروا، وارضَوْا بما قَسَم الله لكم، وقَدَّر عليكم، بل وأبشروا وأمِّلوا من الرحمن الرحيم، العليم الحكيم، ما يسركم من الجزاء الكريم، والأجر العظيم، فلن يُضيع اللهُ صبركم، ولن يَتِرَكم رضاكم، وليأتينّ يوم يتمنى فيه أهل العافية لو كانوا من أهل البلاء مثلكم، لما يَرَوْن في الآخرة من عظيم ثوابكم، وما صبه الله عليكم من كبير الأجر وأنالكم، فعن جابرٍ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«يَوَدُّ أَهْلُ الْعَافِيَةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، حِينَ يُعْطَى أَهْلُ الْبَلَاءِ الثَّوَابَ، لَوْ أَنَّ جُلُودَهُمْ كَانَتْ قُرِضَتْ فِي الدُّنْيَا بِالْمَقَارِيضِ»[1].

ومع هذا، فإنهم في الدنيا لا يَسعهم إلا طلبُ العافية، كما أمرهم شرع ربهم، بل هم مندوبون إذا رأَوْا مبتلًى إلى حمد الله سبحانه وشكره، على ما مَنّ عليهم به وتفضل من العافية مما ابتلاه به، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«مَنْ رَأَى مُبْتَلًى فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَافَانِي مِمَّا ابْتَلَاكَ بِهِ، وَفَضَّلَنِي عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقَ تَفْضِيلًا، لَمْ يُصِبْهُ ذَلِكَ الْبَلَاءُ»[2].

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٤٠٢)، وغيره، وحسنه الألباني.

(٢) أخرجه الترمذي (٣٤٣٢)، وغيره، وصححه الألباني.

وعن عمر رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال:

«مَنْ رَأَى صَاحِبَ بَلَاءٍ فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَافَانِي مِمَّا ابْتَلَاكَ بِهِ، وَفَضَّلَنِي عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقَ تَفْضِيلًا، إِلَّا عُوفِيَ مِنْ ذَلِكَ الْبَلَاءِ، كَائِنًا مَا كَانَ، مَا عَاشَ»(١).

وقيل(٢):

إذا تَرى المبتلَى اشكر أَنْ نجوتَ ولا
تَشْمتْ به ولْتَسَلْ من ربك العافيهْ
وخَفْ من أن تُبتلَى كما ابتُلِيَ فترَى
كما تَراه وما تَقيك من واقيهْ

وسلوا الله العافية والشفاء، ورفع السُّقْم والبلاء، وإياكم أن تتمنوا خلاف ذلك، طلبًا للخلاص من عقوبة الآخرة بتعجيلها في الدنيا، بل اسألوا الله الرحمن الرحيم، الغني الكريم، الغفور الحليم، العافية في الدارين، وقولوا: اللهم ربنا آتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار.

فعن أنس رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ عاد رَجُلًا من المسلمين قد خَفَتَ(٣) فصار مِثْلَ الفَرْخِ، فقال له رسول الله ﷺ: «هَلْ كُنْتَ تَدْعُو بِشَيْءٍ أَوْ تَسْأَلُهُ إِيَّاهُ؟».

قال: نَعَمْ، كنتُ أقول: اللهم ما كنتَ مُعَاقِبِي به في الآخرة فعَجِّلْهُ لي

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٤٣١)، وغيره، وحسنه الألباني.

(٢) «نفح الطيب» (٥/٥٤٦).

(٣) أي: ضَعُف وسكَن.

في الدنيا. فقال رسول الله ﷺ:

«سُبْحَانَ اللهِ! لَا تُطِيقُهُ - أو: لَا تَسْتَطِيعُهُ ـ أَفَلَا قُلْتَ: اللَّهُمَّ [رَبَّنَا] آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً، وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ[1]؟!».

قال: فدعا اللهَ له، فشفاه[2].

وفي لفظ: أن النبي ﷺ عاد رَجُلًا قد جُهِدَ حتى صار مِثْلَ الفَرْخِ، فقال له: «أَمَا كُنْتَ تَدْعُو؟! أَمَا كُنْتَ تَسْأَلُ رَبَّكَ الْعَافِيَةَ؟!» قال: كنت أقول: اللهــم ما كنت مُعَاقِبِي به في الآخرة فعَجِّلْهُ لي في الدنيا. إلخ.

وعنه رضي الله عنه، أن النبي ﷺ مر بقوم مُبْتَلَيْنَ، فقال:

«أَمَا كَانَ هَؤُلاءِ يَسْأَلُونَ اللَّهَ الْعَافِيَةَ؟!»[3].

قال في «تحفة الذاكرين»[4]: وفي الحديث دليل على أن سؤال الله سبحانه وتعالى العافية يدفع كل بلية، ويرفع كل محنة، ولهذا جاء ﷺ بهذا الاستفهام بمعنى الاستنكار، فكأنه قال لهم: كيف تتركون أنفسكم في هذه المحنة والابتلاء، وأنتم تجدون الدواء الحاسم لها، والمرهم الشافي لما أصابكم منها، وهو الدعاء بالعافية، واستدفاع هذه المحنة النازلة بكم بهذه الدعوة الكافية؟! وفي هذا ما يزيد النفوس نشاطًا، والقلوب بصيرة، باستعمال هذا الدواء، عند عروض كل داء، ومِساس كل محنة، ونزول كل بلية. اهـ.

---

(١) هذه الدعوة من أعظم الأدعية في سؤال العافية، كما هو ظاهر هذا الحديث، وهي أكثر دعوة كان يدعو بها النبي ﷺ، وقد تواتر هذا الدعاء عنه ﷺ كما تواتر عنه سؤال العافية في الدنيا والآخرة، كما تقدم. فليُتنبه.

(٢) أخرجه مسلم (٢٦٨٨)، والترمذي (٣٤٨٧)، باللفظ الثاني، وغيرهما. والزيادة للنسائي في «الكبرى» (٧٤٦٤ و١٠٨٢٥)، بإسناد صحيح.

(٣) أخرجه البزار (٣١٣٤ – كشف الأستار)، وغيره، وهو في «السلسلة الصحيحة» (٢١٩٧).

(٤) (ص ٤٦١).

وأنشد الشيخ أبو إسحاق الشيرازي[1]:

رأيتُ البَلاء كقَطْر السَّماء ... وما تُنْبِتُ الأرضُ من ناميهْ

فلا تَسألنَّ إذا ما سألتَ ... إلهك شيئًا سوى العافيهْ

تم الكتاب، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، ونسأله سبحانه وتعالى لنا ولكم العافية، في الدنيا والآخرة.

وصلِّ اللهم وسلِّم وبارك على عبدك ورسولك محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه أجمعين.

كتبه: محمد شومان

(١) «الازدهار» للسيوطي (ص ١٦). وهو من قول منصور الفقيه، كما في «بهجة المجالس» (١/٣٨٤).

الفهـــــرس